



جامعة النجاح الوطنية  
كلية الدراسات العليا

## الأجل في القرآن الكريم: دراسة موضوعية

إعداد

باسمه باسم محمد شعبان

إشراف

د. حسين عبد الحميد النقيب

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (عام) بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين.


2023م

# الأجل في القرآن الكريم: دراسة موضوعية

إعداد

باسمه باسم شعبان

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2023/9/10، وأجيزت.

  
التوقيع

  
التوقيع

  
التوقيع

د. حسين عبد الحميد النقيب

المشرف الرئيسي

د. زهران زهران

الممتحن الخارجي

أ. د. عودة عبد الله

الممتحن الداخلي

## الإهداء

إلى روح النبي صلى الله عليه وسلم وكل من سكن قلبه حب رسول الله

إلى من كان همّه لا إله إلا الله

إلى كل من علمني حرفاً وقدم لي علماً ونصيحاً

إلى من هما كالعافية للبدن أمي وأبي الغاليين

إلى من كان عوناً لي على الدرب زوجي العزيز

إلى من أنزلوني بنتاً والديّ زوجي العزيزين

إلى من يحيي الأمل في قلبي أبنائي الأحباء

إلى صديقاتي وأخواتي في الله

أهدي لكم ثمرة أعوام من الجدّ والمثابرة وجهدي هذا

## الشكر والتقدير

الشكر لله صاحب المنة والفضل أن تفضل عليّ بعونه وتوفيقه وأعانني على إتمام هذا العمل فالحمد لله

حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه

ثم الشكر موصول لكل من ساعد في إتمام وإنجاز هذا العمل، وكل من قدم لي يد العون والنصح، إلى

الأساتذة الأفاضل في كلية الشريعة

ويسرني أن أخص بالشكر مشرفي الدكتور الفاضل حسين النقيب على نصحه وتوجيهه ومتابعته لهذا

العمل

وأتقدم بالشكر للدكتور محسن الخالدي، فقد كان هذا البحث ثمرة تدريسه لمساق التفسير الموضوعي

فجزاهم الله خير الجزاء على ما قدموه من نصح وتوجيه

وأتقدم بالشكر إلى الكريمين الدكتور عودة عبد الله والدكتور زهران زهران، أن تفضلا بقبولهما مناقشة هذه

الدراسة، فجزى الله الجميع خير الجزاء.

## الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

### الأجل في القرآن الكريم:

### دراسة موضوعية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: باسمه باسم محمد شعبان

التوقيع: باسمه شعبان

التاريخ: 2023/09/10

## فهرس المحتويات

ج	الإهداء	.....
د	الشكر والتقدير	.....
هـ	الإقرار	.....
و	فهرست المحتويات	.....
ح	فهرس الملاحق	.....
ط	الملخص	.....
1	مقدمة	.....
5	الفصل الأول: مفهوم الأجل ودلالاته في القرآن الكريم	.....
5	المبحث الأول: معنى الأجل في اللغة وفي الاصطلاح	.....
5	المطلب الأول: معنى الأجل في اللغة	.....
6	المطلب الثاني: معنى الأجل في الاصطلاح	.....
8	المبحث الثاني: مادة الأجل في القرآن الكريم	.....
8	المطلب الأول: عرض مادة الأجل في القرآن الكريم	.....
8	المطلب الثاني: لطائف ورود مادة الأجل في القرآن الكريم	.....
11	المبحث الثالث: المعاني التي وردت عليها مادة الأجل في القرآن الكريم	.....
14	المبحث الرابع: الألفاظ ذات الصلة بالأجل	.....
20	المبحث الخامس: الألفاظ المقترنة بالأجل ودلالاتها	.....
27	الفصل الثاني: العلم بالأجل في القرآن الكريم وبيان زيادته ونقصانه	.....
27	المبحث الأول: العلم بالأجل	.....
27	المطلب الأول: الأجل الذي اختص الله بعلمه	.....
31	المطلب الثاني: الأجل الذي يعلمه البشر	.....
35	المبحث الثاني: الأجل بين الزيادة والنقصان	.....
35	المطلب الأول: موقف المفسرين من زيادة الأجل ونقصان	.....
38	المطلب الثاني: خلاصة القول في مسألة زيادة الأجل ونقصانه	.....
41	الفصل الثالث: أنواع الآجال الواردة في القرآن الكريم	.....
41	المبحث الأول: أجل الإنسان	.....
41	المطلب الأول: أجل خلق الإنسان في الأرحام	.....
47	المطلب الثاني: أجل موت الإنسان وانتهاء حياته الدنيوية	.....
49	المطلب الثالث: ما ورد في التفسير العلمي في تحديد أجل خلق الإنسان	.....

54	المبحث الثاني: أجل الأمم
54	المطلب الأول: فناء الأمم بانقضاء أعمارها
56	المطلب الثاني: هلاك الأمم باستحقاقها للعذاب
59	المبحث الثالث: أجل الكون
59	المطلب الأول: أجل السماوات والأرض
63	المطلب الثاني: أجل الشمس والقمر
66	المطلب الثالث: ما ورد في التفسير العلمي في تحديد أجل الكون
71	المبحث الرابع: أجل الآخرة
71	المطلب الأول: أجل فناء الدنيا وقيام الساعة
75	المطلب الثاني: أجل بدء الحساب
80	المطلب الثالث: أجل النعيم في الجنة
81	المطلب الرابع: أجل المكوث في النار
84	الفصل الرابع: التوجيهات القرآنية للاستعداد للأجل وأثرها في حياة المسلم
84	المبحث الأول: توجيهات قرآنية للاستعداد للأجل
84	المطلب الأول: الثبات والاستقامة على الدين
85	المطلب الثاني: التفكير في الأدلة والبراهين الواضحة على حقيقة الموت والبعث
86	المطلب الثالث: الاعتبار والاتعاظ بفناء آجال السابقين أمماً وأفراداً
88	المطلب الرابع: التحذير من الغفلة عن الأجل وطول الأمل
90	المطلب الخامس: الإكثار من ذكر الموت والاتعاظ بكثرتة
91	المطلب السادس: معرفة حقيقة الدنيا مقارنة بالآخرة
94	المطلب السابع: التحذير من الانشغال بالأموال والأولاد عن التزود لدار المعاد
95	المطلب الثامن: إنذار الناس وتخويفهم من مغبة الأجل
96	المطلب التاسع: المبادرة بالتوبة قبل حضور الأجل
97	المطلب العاشر: الوفاء بالعهود وإرجاع الحقوق إلى أصحابها
99	المبحث الثاني: أثر الإيمان بالأجل في تغيير واقع المسلمين وسلوكهم
105	الخاتمة
107	قائمة المصادر والمراجع
125	الملاحق
B	Abstract

## فهرس الملاحق

ملحق (أ): عرض مادة أجل في القرآن الكريم ..... 125

# الأجل في القرآن الكريم:

## دراسة موضوعية

إعداد

باسمه باسم شعبان

إشراف

د. حسين النقيب

## الملخص

تعنى هذه الدراسة بموضوع (الأجل) كما عرضته الآيات القرآنية، فهي تلقي الضوء على مفهومه في القرآن الكريم، فتبين معناه اللغوي والاصطلاحي، وتعرض الدراسة مادة الأجل في القرآن الكريم، واللطائف حولها، والمعاني التي وردت عليها، والألفاظ ذات الصلة بها، ودلالات الألفاظ المقترنة بها. ثم تبين الدراسة قضية العلم بالأجل وتناقش قضية زيادته ونقصانه، وتفصل الدراسة القول في أنواعه نحو أجل الإنسان، وأجل الأمم، وأجل الكون، وأجل الآخرة، وتختتم ذلك ببيان التوجيهات القرآنية للاستعداد للأجل، وأثر الإيمان به في تغيير واقع المسلمين وسلوكهم أفراداً وجماعات.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج الاستنباطي، وقسمت إلى مقدمة وأربعة فصول ومباحث ومطالب وخاتمة.

وقد سطرت الدراسة الفهم الصحيح لموضوع الأجل في القرآن الكريم، وخلصت الدراسة إلى أنّ هذا الموضوع مهم جدير بالبحث والدراسة، وهو موضوع تنوعت معانيه وتعددت السور التي أوردته في القرآن الكريم، فكان عددها ثمان وعشرون سورة، بلغ تكرار لفظ الأجل فيها على اختلاف اشتقاقاته خمسة وخمسين موضعاً، استعمل مصطلح الأجل في الآيات المكية منها بمعنى الموت والهلاك والساعة ونحوها، وفي الآيات المدنية زاد عليه المعنى الفقهي للأجل نحو أجل البيوع والعقود وأجل الطلاق والعدة ونحوها، وجاء الأجل في القرآن على أنواع متعددة وهي: أجل الإنسان، وأجل الأمم، وأجل الكون، وأجل الآخرة.

وفي الختام أوصت الدراسة بمزيد من الدراسات حول موضوع الأجل، وتدبر كتاب الله وما جاء فيه عن الأجل دراسة وفقهاً وتأثراً وتأثيراً.

**الكلمات المفتاحية:** الأجل، القرآن، موضوعية، الإنسان، الأمم، الآخرة.

## مقدمة

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه حتى يبلغ الحمد منتهاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وأصلي وأسلم على رسول الله، أما بعد:

فإن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم من أهم العلوم التي ظهرت في العصر الحديث، وهو يقدم رؤية قرآنية موضوعية واضحة للآيات القرآنية، تتوسع معها دلالات هذه الآيات ومضامينها، مما يرفع من مستوى التدبر والفهم لنصوص القرآن الكريم.

لقد جعل الله لكل شيء أجلاً ينتهي إليه، ومن ذلك الإنسان والأمم، والكون وكل ما فيه له أجل، والأجل يطلق على مدة الشيء جميعها من مبدأها إلى منتهاها، ويطلق على نهايتها، وهذه المدة والمهلة تمر بمراحل من الطفولة إلى الشيخوخة إلى الكهولة ثم إلى الفناء وكل مرحلة لها ميزاتها وتغيراتها التي تطرأ عليها، ولها سنن كونية مرتبطة بها، فيحسن بذلك عمارتها بالخير واستغلالها والانتفاع بها والأخذ بالأسباب التي تقويها وترفع من شأنها.

وإن المتأمل لكتاب الله تعالى يجد أن العديد من الآيات القرآنية تناولت موضوع الأجل وركزت على ضرورة الإيمان به والاستعداد له، وحذرت من حب الدنيا وطول الأمل فيها، وحذرت من الغفلة عن الأجل.

ولأهمية هذا الموضوع، وحتى يتسنى لنا الوصول إلى الفهم الصحيح لموضوع الأجل؛ لجأت الباحثة إلى كتاب الله تعالى متدبرة للآيات التي عرضت لمادة الأجل، فكانت في خمس وخمسين موضعاً، في ثمان وعشرين سورة، جاء الأجل في أغلبها الأعم بمعنى الموت أو الساعة أو الهلاك ونحوها، فقامت بدراستها وتدبرها، وربتها متبعة منهجية التفسير الموضوعي للموضوع القرآني، ومستعينة بكتب التفسير التي شرحت الآيات، وبأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال السلف مما له علاقة مباشرة بالآيات موضوع البحث، فمن الجميل أن نقف على الفهم القرآني الصحيح لموضوع الأجل ونطلع على المنهج الذي خطه القرآن للاستعداد للأجل، كيف لا وهو قول الله الفصل.

## أهمية الدراسة:

1. إن موضوع الأجل في القرآن الكريم يستحق الدراسة والوقوف عليه؛ لأهميته وارتباطه بحياة الإنسان، ومهلة عمارته على هذه الأرض.
2. أن هذه الدراسة أصيلة، فلم تقف الباحثة على رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه تناولت هذا الموضوع.

## مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما المعاني الواردة في مادة الأجل في القرآن الكريم؟
2. كيف يكون العلم بالأجل بين الله تعالى وبين المخلوقات؟
3. ما أنواع الآجال الواردة في القرآن الكريم؟
4. ما التوجيهات القرآنية في الاستعداد للقاء الله؟
5. ما الآثار المترتبة على إدراك مسألة الأجل على الفرد والمجتمع؟

## أهداف الدراسة:

تحاول الدراسة تحقيق الأهداف التالية:

1. بيان المعاني الواردة في مادة الأجل في القرآن الكريم.
2. بيان كيف يكون العلم بالأجل بين الله تعالى وبين المخلوقات.
3. بيان أنواع الآجال الواردة في القرآن الكريم.
4. بيان التوجيهات القرآنية في الاستعداد للقاء الله.
5. بيان الآثار المترتبة على إدراك مسألة الأجل على الفرد والمجتمع.

## منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على المناهج الآتية:

1. المنهج الاستقرائي: تتبع وجمع الآيات التي أوردت مادة الأجل في القرآن الكريم.
2. المنهج التحليلي: بالنظر في الآيات التي أوردت مادة الأجل ودراستها وتوزيعها على فصول البحث، مستعينة بأقوال المفسرين وغيرهم.
3. المنهج الاستنباطي: باستنباط دلالات الآيات المتعلقة بالأجل والتوجيهات القرآنية في الاستعداد للأجل، وأثر الالتزام بها على واقع المسلمين وسلوكهم.

## الدراسات السابقة:

1. دراسة (الأجل في القرآن الكريم دراسة موضوعية دلالية)<sup>1</sup>، للباحث يزيد الخليف، اقتصر البحث على بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردة الأجل والعلاقة بينهما، وأبرز استعمالاتها في القرآن الكريم، وذكر صفاتها ودلالاتها.
2. دراسة (الأجل في الفقه الإسلامي)<sup>2</sup>، للباحث راشد الشهري، يتناول البحث الأجل في الفقه الإسلامي، واقتصر الباحث على تعريفه، وبيان دليل مشروعيته، والحكمة منه، وأنواعه، وخصائصه، من خلال التراث الفقهي الإسلامي، فكان دراسة فقهية بحتة.
3. دراسة (الأجل والرزق عند الفرق الإسلامية: دراسة عقديّة مقارنة)<sup>3</sup>، للباحث معاوية البطوش، يتناول البحث مقارنة عقديّة بين آراء الفرق الإسلامية في مسائل الأجل والرزق وتفرعاتها مع مناقشة لهذه الآراء والترجيح بينها.

<sup>1</sup> الخليف، يزيد بن عبد اللطيف الصالح: الأجل في القرآن الكريم دراسة موضوعية دلالية، بحث محكم، جامعة الملك سعود، مجلة الدراسات الإسلامية، مج33، ع2، مايو 2021، ص17-50.

<sup>2</sup> الشهري، راشد بن مفرح بن راشد: الأجل في الفقه الإسلامي، (مجلة البحوث والدراسات الشرعية، 2013م)، ص111-124.

<sup>3</sup> البطوش، معاوية عبد الحميد عودة الله: الأجل والرزق عند الفرق الإسلامية: دراسة عقديّة مقارنة، (الأردن: جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، 2015م).

4. دراسة (عقيدة زيادة الأجل ونقصانه في ضوء الكتاب والسنة ومفاهيم الأمة)<sup>1</sup>، للباحث جابر السمييري، يقتصر البحث على مناقشة أقوال المجيزين والمانعين لزيادة الأجل ونقصانه وتخلص الدراسة إلى ان

الأجل يزيد وينقص وفق أسباب معينة، أو أن التبديل يحصل في صحف الملائكة.

5. دراسة (الأجل في الالتزام دراسة مقارنة)<sup>2</sup>، للباحث عبد الناصر العطار، يتناول البحث الحديث عن

الأجل في الجانب الفقهي، فهي دراسة مقارنة بين الأجل في الفقه الإسلامي والأجل في القوانين

الأخرى، ويتحدث عن مصادر الأجل وماهيته، ويتحدث عن فكرة الالتزام وأثر الأجل فيها، ومدى

تأثير طرفي الالتزام في الأجل المبرم بينهما.

#### الجديد في هذه الدراسة:

الجديد في هذه الدراسة أنها عرضت لموضوع الأجل في القرآن الكريم، فقامت بعملية استقراء تام، ووقفت

على جميع الآيات التي تناولت مادة الأجل في القرآن الكريم، وقامت بعرضها، وذكرت بعض اللطائف

حولها، واستقرت المعاني اللغوية والاصطلاحية وبينتها، وذكرت الألفاظ ذات الصلة بالأجل وبينت صلتها

ودلالاتها، وكذلك الألفاظ التي اقترنت بالأجل وبينت دلالتها، وعرضت الدراسة قضية العلم بالأجل،

وعرضت لقضية زيادة الأجل ونقصانه، وناقشت أقوال العلماء في المسألة وبينت خلاصة القول فيها، ثم

بينت الدراسة أنواع الأجل في القرآن الكريم، نحو أجل الإنسان وأجل الأمم وأجل الكون وأجل الآخرة،

وختمت الدراسة ذلك بتوجيهات القرآن الكريم للاستعداد للأجل، وأثر الإيمان بالأجل على واقع المسلمين

وسلوكلهم.

<sup>1</sup> عيد، جابر بن زايد: عقيدة زيادة الأجل ونقصانه في ضوء الكتاب والسنة ومفاهيم الأمة، بحث محكم، (الجامعة الإسلامية بغزة: مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، مج9، ع2، 2001م).

<sup>2</sup> العطار، عبد الناصر توفيق: الأجل في الإلتزام دراسة مقارنة، (جامعة القاهرة: كلية الحقوق، 1946).

## الفصل الأول

### مفهوم الأجل ودلالاته في القرآن الكريم

هذا الفصل يتحدث عن مفهوم الأجل في اللغة وفي الاصطلاح، ويبين الآيات التي عرضت لمادة أجل في القرآن الكريم وبعض اللطائف حولها، ويورد الاشتقاقات والألفاظ ذات الصلة بالأجل والألفاظ المقترنة بالأجل على النحو الآتي:

### المبحث الأول: معنى الأجل في اللغة وفي الاصطلاح

#### المطلب الأول: معنى الأجل في اللغة

يطلق الأجل في اللغة على عدة معان منها:

أولاً: "أجله وآجله: حبسه ومنعه"<sup>1</sup>.

ثانياً: "والأجل: مصدر أجل عليهم شرا يأجله أجلاً: إذا جناه عليهم، وجره"<sup>2</sup>.

ثالثاً: "مدة الشيء"<sup>3</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ فَضَيْتُ﴾ [القصص: 28]

[28]، بمعنى أي الأجلين أتممت، الثمان أو العشر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد (817هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (لبنان: بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ-2005م، ص960.

<sup>2</sup> ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (244هـ): إصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعب، (دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423هـ-2002م)، ص15.

<sup>3</sup> الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي (393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ-1987م)، ج4، ص1621.

<sup>4</sup> ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد (510هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ-1997م)، ج6، ص203.

رابعاً: "غاية الوقت في الموت"<sup>1</sup>، أو "المدة المضروبة لحياة الإنسان"<sup>2</sup>.

خامساً: "محل الدين ونحوه"<sup>3</sup>، و"بلغ الشيء أجله إذا بلغ غايته"<sup>4</sup>، و"قولهم «أجل» في الجواب، هو من هذا

الباب، كأنه يريد انتهى وبلغ الغاية"<sup>5</sup>.

سادساً: "الإهلاك، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: 185]، أي

إهلاكهم"<sup>6</sup>.

وعموم هذه المعاني يعود إلى زمن الشيء؛ ووقته ومدته وبلوغ غايته.

### المطلب الثاني: معنى الأجل في الاصطلاح

تعددت التعريفات الاصطلاحية التي تبين معنى الأجل نذكر منها:

1. الأجل: مشاركة انقضاء المدة وفراغها وانتهاء أمدها<sup>7</sup>.

2. الأجل: الوقت المقدر لانتهاء الحياة بقتل أو غيره؛ ويطلق على جميع المدة وعلى نهايتها؛ ويقال

للعمر أجل، وللموت أجل، ولحلول الدين أجل<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو (170هـ): العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، ج6، ص178.

<sup>2</sup> الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية)، ج27، ص434.

<sup>3</sup> الفراهيدي: العين، ج6، ص178.

<sup>4</sup> ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (321هـ): جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1987م)، ج2، ص1043.

<sup>5</sup> ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء (395هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، 1399هـ-1979م)، ج1، ص64.

<sup>6</sup> الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج27، ص435.

<sup>7</sup> ينظر: المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، (القاهرة: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، ط1، 1410هـ-1990م)، ص39.

<sup>8</sup> ينظر: أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني، (1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة - بيروت)، ص49+50.

3. الأجل: الوقت المقدر لانقضاء الأشياء الكونية والشرعية، أو ما حدد من الوقت في المعاملات<sup>1</sup>.

4. الأجل: "غاية لزمان ممتد عينت لأمر من الأمور، وقد يطلق على كل ذلك الزمان"<sup>2</sup>.

5. والأجل في الفقه: "مدة مستقبلية محققة الوقوع، محددة شرعاً أو قضاءً أو اتفاقاً للوفاء بالتزام معين"<sup>3</sup>.

والملاحظ أن معنى الأجل في الاصطلاح لا يخرج عن المعنى اللغوي فيستعمل بمعنى المدة جميعها وبمعنى نهاية الوقت كحلول الدين والموت ونحوها من الأمور الشرعية والكونية.

---

<sup>1</sup> ينظر: مصطفى مسلم، مصطفى مسلم محمد وآخرون: موسوعة التفسير الموضوعي، (مركز تفسير للدراسات القرآنية، السعودية: الرياض، ط1، 1440هـ-2019م)، ج1، ص382.

<sup>2</sup> الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج10، ص343.

<sup>3</sup> الشهري، راشد بن مفرح بن راشد: الأجل في الفقه الإسلامي، (مجلة البحوث والدراسات الشرعية، 2013م)، ص113.

## المبحث الثاني: مادة الأجل في القرآن الكريم

### المطلب الأول: عرض مادة الأجل في القرآن الكريم

جاءت مادة الأجل في القرآن الكريم ومشتقاتها في عدة مواضع كما في ملحق (أ).

### المطلب الثاني: لطائف ورود مادة الأجل في القرآن الكريم

إن عدد السور التي أوردت مادة الأجل في القرآن الكريم ثمانية وعشرون سورة، وبلغ تكرار لفظ الأجل في المواضع المختلفة على اختلاف اشتقاقاته خمسة وخمسين موضعاً.

كان تعداد المواضع على النحو التالي<sup>1</sup>: (أجل:31)، (أجلا:3)، (أجلنا:1)، (أجله:2)، (أجلها:3)، (أجلهم:6)، (أجلهن:5)، (الأجلين:1)، (مؤجلا:1)، (أجلت:1)، (أجلت:1).

جاء الأجل في القرآن الكريم موافقاً للمعنى اللغوي، ومن الملاحظ أن أكثر السور التي عرضت مادة الأجل كانت مكية النزول، وقد بلغت إحدى وعشرين سورة، في حين أن السور المدنية التي عرضت لمادة الأجل كانت ثمانية سور، وبلغت المواضع التي اقترنت فيها مادة الأجل بلفظ (مسمى) إحدى وعشرين موضعاً، وهي سمة من السمات الملازمة للأجل في أنه مسمى فينبغي أن يكون على التعيين والتحديد، ويلاحظ في تتبع المصطلح تاريخياً أنه استعمل في الآيات المكية بمعنى الموت والساعة والهلاك ونحوها، وفي الآيات المدنية زاد عليه المعنى الفقهي للأجل نحو أجل البيوع والعقود وأجل الطلاق والعدة ونحوها، ومن دلالات كثرة ورود لفظ الأجل ومشتقاته في القرآن المكي وتركيز آيات الأجل فيه على معان الموت والساعة لأنها من أمور العقيدة التي عني القرآن المكي بإثباتها وإقامة الحجج والبراهين عليها؛ فكان يؤكد بذلك على ضرورة الإيمان بها وترسيخها في نفوس المسلمين، أما عن دلالات الأجل في القرآن المدني فهي تتعلق بالأحكام والأمور التشريعية والقضائية، وهذه المعاني مترتبة على الإيمان بالعقيدة وتطبيق مقتضياتها في

<sup>1</sup> ينظر: عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1364هـ)، ص14+15.

جوانب الحياة المختلفة، والتي عني الإسلام بتنظيمها وترتيبها في المجتمع الإسلامي، بعد أن قامت دولة المسلمين في المدينة المنورة.

ومن لطائف ورد الأجل في القرآن المدني عنايته بقضايا الأسرة والمرأة، فجاء الأجل في ستة مواضع قرآنية تضع الأسس لبناء العلاقات الزوجية والحفاظ عليها، وتحمل الكثير من المعاني التربوية الخاصة بالتعامل مع المرأة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة البقرة: 231]، ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: 232]، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة: 234]، ﴿وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُنَّ﴾ [سورة البقرة: 235]، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [سورة الطلاق: 2]، ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق: 4]، فهذه الآيات تتناول ما شرعه الله من أحكام العدة وما فيها من الإمهال والتريث وحفظ الحقوق واحسان العشرة والمعاملة.

وفي آيات تسخير الشمس والقمر جاءت مقرونة بجريها إلى أجل مسمى، أو لأجل مسمى في أربعة مواضع قرآنية: قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [القمان: 29]، وقال: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: 2]، [فاطر: 13]، [الزمر: 5]، ومن اللطائف في ذلك أن الموضع الأول منها عدي ب(إلى)، والمواضع الثلاثة الأخرى عديت باللام، وهذا ليس من تعاقب حروف الجر وتناوبها، بل هو من أسرار الذكر الحكيم، وكل منهما ملائم لسياقه الذي جاء فيه، وملائم لغرضه ومعناه، وذلك أن (إلى) تفيد الانتهاء، و(اللام) تفيد الاختصاص وبيان العلة، وبيانه أن قول يجري إلى أجل مسمى؛ أي أنه يجري لأجل محدود يبلغه وينتهي إليه وهو قيام الساعة، ويجري لأجل مسمى؛ أي

أن الجري يختص بإدراك هذا الأجل، بأن جريان الشمس يختص بآخر السنة، وجريان القمر يختص بآخر الشهر، وكلا المعنيين تتحقق فيه الغاية<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج3، ص502.

## المبحث الثالث: المعاني التي وردت عليها مادة الأجل في القرآن الكريم

تجتمع معاني الأجل في القرآن الكريم في عشر معان وفق الآتي:

أولاً: الأجل بمعنى انتهاء الدنيا<sup>1</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ مَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 2]، قوله (قضى أجلاً) هو أجل الدنيا ومدة الإقامة فيها<sup>2</sup>.

ثانياً: الأجل بمعنى وقت العذاب<sup>3</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْزِزُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: 49]. (لكل أمة أجل) أي مهلة محددة لا تتقدم ولا تتأخر، فيها فناء آجالهم أو هي أجل موتهم بالعذاب<sup>4</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185]، (اقترب أجلهم) أي دنا هلاكهم<sup>5</sup>.

ثالثاً: بمعنى مطالع الشمس والقمر<sup>6</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: 13]، أي أن مطالع الشمس والقمر لها حد وغاية لا يجاوزانها في شتاء ولا صيف<sup>7</sup>، أو أن المراد أن لهما أجل ينتهيان إليه وهو الساعة<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: يحيى بن سلام، يحيى بن سلام البصري (200هـ): التصاريف لتفسير القرآن مما اشتهبت أسمائه ونصرفت معانيه، تحقيق: هند شلبي، (الشركة التونسية للتوزيع، 1979م)، ص319. ابو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (نحو 395هـ): الوجوه والنظائر، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1428هـ-2007م)، ص59.

<sup>2</sup> ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م)، ج11، ص285.

<sup>3</sup> ينظر: يحيى بن سلام: التصاريف، ص319. ابو هلال العسكري: الوجوه والنظائر، ص61. الدامغاني، ابو عبد الله الحسين بن محمد (ت:487هـ): الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز تحقيق: عربي عبد الحميد علي، (لبنان -بيروت: دار الكتب العلمية)، ص54+55. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (817هـ): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1996م)، ج2، ص108.

<sup>4</sup> ينظر: السمرقندي، نصر بن محمد السمرقندي (373هـ): تفسير السمرقندي =بحر العلوم، ج2، ص119-120.

<sup>5</sup> ينظر: السمرقندي: بحر العلوم، ج1، ص: 572.

<sup>6</sup> ينظر: يحيى بن سلام: التصاريف، ص320. ابو هلال العسكري: الوجوه والنظائر، ص61.

<sup>7</sup> ينظر: يحيى بن سلام: التصاريف، ص: 320. العسكري: الوجوه والنظائر، ص: 61.

<sup>8</sup> ينظر: أبو هلال العسكري: الوجوه والنظائر، ص: 61.

رابعاً: بمعنى أجل انقضاء الدين أو الحقوق المؤجلة<sup>1</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: 282]، وفي الآية أمر بالكتابة والإشهاد في الحقوق المؤجلة<sup>2</sup>.

خامساً: بمعنى وقت النحر<sup>3</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ذُرُّهُمَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 33]، في قوله (إلى أجل مسمى) قولان: الأول: جواز الانتفاع بالبهائم إلى أن تسمى هدياً، والثاني: جواز الانتفاع بالبهائم مع تسميتها هدياً، وذلك بركوبها عند الحاجة، أو شرب ألبانها عند الضرورة، وذلك (إلى أجل مسمى) يعني إلى وقت نحرها، وهذا الأولى، لأن الله قال: (لكم فيها منافع) أي في الشعائر، فلا تكون من الشعائر قبل أن تهدي، فالراجح أن المعنى هو وقت النحر فلا يليق إلا بأن تحمل عليه<sup>4</sup>.

سادساً: بمعنى أجل الولادة<sup>5</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: 5]. يعني إلى وقت الولادة، فيخرج الجنين بعد تمام خلقه ومدته<sup>6</sup>.

سابعاً: بمعنى أجل العدة<sup>7</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: 231]، بلوغ الأجل هنا بلوغ مقاربة لانقضاء العدة لأنه بانقضاء العدة لا

<sup>1</sup> ينظر: يحيى بن سلام: التصاريف، ص320. ابو هلال العسكري: الوجوه والنظائر، ص61.

<sup>2</sup> ينظر: الواحدي، علي بن أحمد بن محمد (468هـ): الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، (بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ-1994م)، ج1، ص401.

<sup>3</sup> ينظر: يحيى بن سلام: التصاريف، ص320. ابو هلال العسكري: الوجوه والنظائر، ص61.

<sup>4</sup> ينظر: الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (321هـ): أحكام القرآن الكريم، تحقيق: الدكتور سعد الدين أنال، (استانبول: مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، ط1، 1418هـ-1998م)، ج2، ص304-310. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن (606هـ): مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ)، ج23، ص224.

<sup>5</sup> ينظر: يحيى بن سلام: التصاريف، ص320. ابو هلال العسكري: الوجوه والنظائر، ص61.

<sup>6</sup> ينظر: البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج5، ص366.

<sup>7</sup> ينظر: يحيى بن سلام: التصاريف، ص320. ابو هلال العسكري: الوجوه والنظائر، ص61. الدامغاني: الوجوه والنظائر، ص54+55. الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز، ج2، ص108.

يحل للزوج إمساك زوجته، وفي الآية التي تليها ﴿فَبَلَّغْنَا أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْصُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: 232]، بلوغ

الأجل هنا حقيقي بانقضاء العدة، وكلاهما يتناول معنى البلوغ<sup>1</sup>.

ثامناً: بمعنى يوم القيامة<sup>2</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ

لَأْتِيَنَّكَ﴾ [العنكبوت: 5]، أي يوم القيامة<sup>3</sup>.

تاسعاً: بمعنى أجل الموت<sup>4</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ

قَرِيبٍ﴾ [النساء: 77]، فهم يتمنون أن يؤخر الله آجالهم حتى يموتوا في منازلهم وعلى فراشهم<sup>5</sup>.

عاشراً: بمعنى الوقت والشرط<sup>6</sup>، قال تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ

قَضَيْتُ﴾ [القصص: 28]. الأجلين أي الوقتين أو الشرطين<sup>7</sup>.

وللقارئ أن يتدبر كيف أن مفردة قرآنية واحدة حملت كل هذه المعاني في سياقاتها المختلفة، كيف لا وهو كلام الله المعجز.

<sup>1</sup> ينظر: البغوي: معالم التنزيل، ج1، ص275.

<sup>2</sup> ينظر: ابو هلال العسكري: الوجوه والنظائر، ص61.

<sup>3</sup> ينظر: يحيى بن سلام، يحيى بن سلام البصري (200هـ): تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، (لبنان - بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ-2004م)، ج2، ص617. الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (468هـ): التفسير البسيط، (السعودية - الرياض: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ)، ج17، ص494.

<sup>4</sup> ينظر: يحيى بن سلام: التصاريف، ص319. الدامغاني: الوجوه والنظائر، ص54+55. الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز، ج2، ص108.

<sup>5</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج8، ص548.

<sup>6</sup> ينظر: الدامغاني: الوجوه والنظائر، ص54+55. الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز، ج2، ص108.

<sup>7</sup> ينظر: أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (209هـ): مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1381هـ)، ج2، ص102. الدامغاني: الوجوه والنظائر، ص54+55.

## المبحث الرابع: الألفاظ ذات الصلة بالأجل

بعد الاستقراء والدراسة تبين أن الألفاظ ذات الصلة بالأجل على النحو الآتي:

أولاً: الموت: بمعنى "انقضاء الأجل"<sup>1</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء]:

[18]، وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: 19]، وصلته بالأجل أن حضور الموت هو الأجل،

وانقضاء الأجل يكون بالموت.

ثانياً: الأثر: هو "ما بقي من رسم الشيء"<sup>2</sup>، وينسأ في أثره، أي في أجله وسمي الأجل أثراً لأنه يتبع

العمر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ حُجِّي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ﴾ [يس: 12]<sup>3</sup>، وصلته

بالأجل أن الأثر أصله من أثر المشي في الأرض فمن مات وانقطع أجله لا يتحرك ولا يبقى لقدمه أثر في

الأرض<sup>4</sup>، وكذلك أن الأثر هو ما يتبع الأجل، على اعتبار ما يكون للميت من أعمال لا تنقطع.

ثالثاً: النحب: "النحب في الأصل النذر ثم استعمل في آخر كل شيء"<sup>5</sup>، ويعبر به عنم قضى أجله وفات

أمره، وزهقت نفسه، وحان حينه ودنت منيته<sup>6</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿فِيَنَّهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ

يَنْتَظِرُ﴾ [الأحزاب: 23]، أي قضى أجله، ويسمى الأجل عهداً؛ لأنه على العهد كان فمات على ما عاهد

<sup>1</sup> ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ): نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم الراضي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ-1984م)، ص268.

<sup>2</sup> ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (395هـ): مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ - 1986م)، ص86.

<sup>3</sup> ينظر: الأزهرى، محمد بن أحمد الهروي (370هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م)، ج15، ص89-90.

<sup>4</sup> ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، أخرجه: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار المعرفة، 1379)، ج10، ص416.

<sup>5</sup> بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي، (القاهرة: دار المعارف، ط3)، ص414.

<sup>6</sup> ينظر: قدامة بن جعفر، قدامة بن جعفر بن قدامة (337هـ): جواهر الألفاظ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ص384.

عليه<sup>1</sup>، وصلته بالأجل أن قضاء الأجل حتمي الحدوث، والنحب من معانيه النذر فالموت كأنه نذر في العنق، والنحب في اللغة أيضا شدة البكاء وحشجة السعال فكأنها حشجة الروح عند الموت، والنحب على الميت بعد انقضاء أجله<sup>2</sup>.

رابعاً: الأمد: هو "مدة لها حدّ مجهول إذا أطلق"<sup>3</sup>، والإمداد: "هو تأخير الأجل"<sup>4</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: 12]، أي "لما مكثوا أجلاً"<sup>5</sup>، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مِمَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ [الجن: 25]، أي "أجلاً ينتهي إليه"<sup>6</sup>، وصلته بالأجل أن الأمد هو منتهى الأجل<sup>7</sup>.

خامساً: الوقت: هو المقدار المحدد من الزمن، كالميقات، وهو نهاية الزمان المفروض لعمل ما<sup>8</sup>، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتْ﴾ [المرسلات: 11]، بمعنى أجلت<sup>9</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: 17]، "أي: مياعدا للخلائق، وهو يوم القيامة"<sup>10</sup>، وصلته بالأجل أن الأجل هو الوقت المحدد والمضروب في المستقبل<sup>11</sup>. والتوقيت: يكون الشيء فيه ثابتاً في الحال وله وقت مذكور ينتهي به بينما الأجل لا يكون فيه الشيء ثابتاً في الحال<sup>12</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: النحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (338هـ): معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1409هـ)، ج5، ص339.

<sup>2</sup> ينظر: بنت الشاطي: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ص413-414.

<sup>3</sup> الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص88.

<sup>4</sup> أبو البقاء، الكليات، ص187.

<sup>5</sup> السمرقندي: بحر العلوم، ج2، ص:339.

<sup>6</sup> السمرقندي: بحر العلوم، ج3، ص:507.

<sup>7</sup> ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج14، ص155.

<sup>8</sup> ينظر: أبو البقاء، الكليات، ص945.

<sup>9</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج24، ص:130-192.

<sup>10</sup> السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (489هـ): تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (السعودية - الرياض: دار الوطن، ط1، 1418هـ-1997م)، ج6، ص:138.

<sup>11</sup> ينظر: التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي الفاروقي الحنفي (بعد 1158هـ): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، تقديم: د. رفيق العجم، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م)، ج1، ص102.

<sup>12</sup> ينظر: أبو البقاء، الكليات، ص312.

سادسا: المدة: هي الزيادة المتصلة ومد الله في عمره، أي أمهله وطول له عمره، ومدة من الزمان أي برهة منه<sup>1</sup>، "ومدى الأجل منتهاه"<sup>2</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: 20]، أي أن الله يمد لمريدي الدنيا ومريدي الآخرة من عطاءه ورزقه؛ فيرزقهم جميعاً من رزقه حتى يبلغو الأمد ويستوفو الأجل الذي كتب لهم<sup>3</sup>، وصلته بالأجل أن نهاية المدة المعلومة تسمى الأجل، كما أن كل أجل هو مدة وليس العكس، والأجل هو ما ضرب من الوقت لانقضاء الشيء ولا يكون أجلاً بجعل جاعل، بينما المدة يجوز أن تكون بجعل جاعل وبغير جعل جاعل<sup>4</sup>.

سابعا: اليقين: هو "العلم الذي لا شك معه"<sup>5</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، واليقين هنا بمعنى الأجل<sup>6</sup>، وصلته بالأجل أن الأجل حتمي الوقوع إلى حد اليقين الذي لا ينكره أحد، لذلك سمي به.

ثامنا: الحين: هو "وقت بلوغ الشيء وحصوله"<sup>7</sup>، وهو "الزمان قليله وكثيره"<sup>8</sup>، ومنه قول الله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُمْسَقَةٌ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: 36]، وقال: ﴿وَمَتَّعْنَهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: 98]، وصلته بالأجل أن الحين هو منتهى الأجل<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الجوهري: الصحاح، ج2، ص537.

<sup>2</sup> الأزهرى: تهذيب اللغة، ج14، ص155.

<sup>3</sup> الطبري: جامع البيان، ج17، ص410.

<sup>4</sup> ينظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (نحو 395هـ)، معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، (إيران: قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ)، ص20.

<sup>5</sup> المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، ص347.

<sup>6</sup> ينظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (465هـ): الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحلیم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، (القاهرة: دار المعارف)، ج2، ص372.

<sup>7</sup> الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص267.

<sup>8</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص125.

<sup>9</sup> ينظر: أبو هلال العسكري: الوجوه والنظائر، ص194.

تاسعا: الوفاة: هي الإماتة بقبض الروح، أو هي استخلاص الحق واستيفاؤه<sup>1</sup>، فالله أودع الروح في الجسد ليستوفيها بعد أجل<sup>2</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42]، وصلته بالأجل أن الوفاة تكون عند انتهاء الأجل فهي العلامة الدالة على انتهائه.

عاشرا: الهلاك: بمعنى الكسر والسقوط، وتهالك الرجل على الفراش، أي سقط<sup>3</sup>، ومن معانيه في القرآن الموت<sup>4</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَمْرًا هَلَكًا﴾ [النساء: 176]، وصلته بالأجل، أن الهلاك من الطرق التي تتحقق بها نهاية مدة الأجل بالمرض ونحو ذلك.

الحادي عشر: العمر "مدة الأجل"<sup>5</sup>، وهو "اسم لمدة عمارة البدن بالحياة"<sup>6</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: 11]، وصلته بالأجل أن الأجل هو آخر المدة المضروبة للعمر في علم الله فهي محددة ولا تتبدل بينما العمر هو مدة هذا الأجل وتحتل الزيادة والنقصان<sup>7</sup>، "فالعمر مدة البقاء والأجل نهاية العمر بالانقضاء"<sup>8</sup>.

الثاني عشر: الدهر: هو "الأبد الممدود"<sup>9</sup>، وهو مدة العالم من وجوده إلى انقضائه، ودهر فلان أي مدة حياته<sup>10</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24]،

<sup>1</sup> ينظر: أبو البقاء، الكليات، ص313.

<sup>2</sup> ينظر: المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، ص339.

<sup>3</sup> ينظر: الجوهري: الصحاح، ج4، ص1617. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، ص62.

<sup>4</sup> ينظر: أبو هلال العسكري: الوجوه والنظائر، ص502.

<sup>5</sup> ابن فورك، محمد بن الحسن الأنصاري (المتوفى 406): تفسير ابن فورك من أول سورة الأحزاب - آخر سورة غافر، تحقيق: عاطف بن كامل بن صالح بخاري، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ط1، 1430هـ-2009م)، ج2، ص: 164.

<sup>6</sup> الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص586.

<sup>7</sup> ينظر: أبو هلال العسكري: معجم الفروق اللغوية، ص18-19.

<sup>8</sup> ابن بطّة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطّة العكبري الحنبلي (387هـ): الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق: رضا معطي، وآخرون، (الرياض: دار الراجية للنشر والتوزيع)، ج3، ص168.

<sup>9</sup> صاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس (385هـ): المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (عالم الكتب، ط1، 1414هـ) ج3، ص440.

<sup>10</sup> ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص: 319.

أي ما يهلكنا الا الموت بعد طول العمر<sup>1</sup>. وصلته بالأجل أن الدهر يعبر عن العمر الطويل الذي يقطعه الأجل بالموت.

الثالث عشر: القتل: هو "فعل يحصل به زهوق الروح"<sup>2</sup>، أو هو إزالة الروح عن الجسد بفعل المتولّي للقتل<sup>3</sup>، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: 16]، فإذا قدر انقضاء الأجل بالموت أو القتل فلن ينفع الفرار منه<sup>4</sup>، وصلته بالأجل أن القتل هو الكيفية التي انتهى بها الأجل، والأجل هو اللحظة التي قدر فيها الموت قتلاً.

الرابع عشر: الأوان: هو "الحين والزمان، ... وهذا أوان الآن، وما جئت إلا أوان الآن"<sup>5</sup>، وأوان "بمنزلة الساعة إلا أنّ الساعة جزء مؤقت من أجزاء الليل والنهار"<sup>6</sup>، "وأَيَانُ مُشَاكَلَةٌ لِمَتَى إِلَّا أَنهَا كُنَايَةُ لِلْحِينِ"<sup>7</sup>، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الذاريات: 12]، "وأصلها (أي أوان) فحذفت الهمزة وجعلت الكلمتان واحدة"<sup>8</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [الأعراف: 187] "أي: وقت قيامها. وأصله أي: أوان ظهورها ووقتها"<sup>9</sup>، و"الآن) حدّ الزمانين، حدّ الماضي من آخره وحدّ المستقبل من أوله، ... وأصل (الآن) إنما كان (أوان) حذفت منها الألف وغيّرت واوها إلى الألف"<sup>10</sup>، كما في قوله

<sup>1</sup> ينظر: السمعاني: تفسير القرآن، ج5، ص142.

<sup>2</sup> الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني (816هـ): كتاب التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ-1983م)، ص172.

<sup>3</sup> ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص655.

<sup>4</sup> الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (333هـ): تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ-2005م)، ج8، ص364.

<sup>5</sup> صاحب بن عباد: المحيط في اللغة، ج2، ص480.

<sup>6</sup> ينظر: الصحاري، سلمة بن مسلم العوتبي: الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: عبد الكريم خليفة، وآخرون، (مسقط - عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ط1، 1420هـ-1999م)، ج2، ص103.

<sup>7</sup> المرجع السابق

<sup>8</sup> ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (395هـ): الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، (محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م)، ص101.

<sup>9</sup> السمرقندي: بحر العلوم، ج3، ص545.

<sup>10</sup> ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة العربية، ص101-102.

تعالى: ﴿ءَأَلْفَنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: 51] أي "قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن

أمنتم به"<sup>1</sup>، وصلتها بالأجل أنها تعبر عن اللحظة التي يحين فيها وقوع الأجل.

**الخامس عشر:** الموعد: من وعد "وعده خيراً وشرّاً، وعداً وموعداً وموعدةً وعدة... وأوعده: تهدّته"<sup>2</sup>،

والوعد يستعمل في الخير فيقال (الوعد) و (العدة)، ويستعمل في الشر فيقال (الإيعاد) و (الوعيد)<sup>3</sup>،

"والموعد: موضع التواعد، وهو الميعاد. يكون الموعد مصدر وعدته. ويكون الموعد وقتاً للعدة. والموعدة

أيضاً: اسم للعدة. والميعاد لا يكون إلا وقتاً أو موضعاً"<sup>4</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمْ

أَلْصُّبْحُ﴾ [هود: 81]، أي "وقت هلاكهم وقت الصبح"<sup>5</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا

مِنْ دُونِهِ مَوْيَلًا﴾ [الكهف: 58]، أي أن لهم "أجل مقدر يؤخرون إليه"<sup>6</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا

لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: 59] أي أن لهم أجل يؤخرون إليه ووقت يهلكون فيه<sup>7</sup>. وصلته بالأجل أن

الموعد هو الوقت الذي ينتهي إليه الأجل.

<sup>1</sup> النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (710هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1419هـ-1998م)، ج2، ص27.

<sup>2</sup> صاحب بن عباد: المحيط في اللغة، ج1، ص115.

<sup>3</sup> ينظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (666هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، صيدا: المكتبة العصرية، دار النموذجية، ط5، 1420هـ، 1999م)، ص342.

<sup>4</sup> الأزهري: تهذيب اللغة، ج3، ص85.

<sup>5</sup> السمرقندي: بحر العلوم، ج2، ص165.

<sup>6</sup> القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (671): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ-1964م)، ج11، ص7.

<sup>7</sup> الماوردي: علي بن محمد بن محمد (450هـ): تفسير الماوردي =النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية)، ج3، ص321.

## المبحث الخامس: الألفاظ المقترنة بالأجل ودلالاتها

جاء مصطلح الأجل في القرآن الكريم في سياق الأحكام الشرعية المتعلقة بالبيوع والعقود، والأحكام المتعلقة بالخلق والإماتة والبعث ونحو ذلك. وفي كثير من الأحيان اقترنت لفظة الأجل بألفاظ متعددة لكل منها مدلوله الذي يخدم السياق الذي كان فيه، وكان تفصيل ذلك على النحو التالي:

**أولاً:** الأجل المسمى، وهو من أكثر وأوسع الألفاظ المقترنة بالأجل، ذكر في القرآن مقروناً بالأجل إحدى وعشرين مرة، والأجل: "مدة معلومة الأول والآخر"<sup>1</sup>، والمسمى من التسمية، بمعنى: المعين المحدد؛ لأن التسمية تعيين الشيء وتمييزه، وتسمية الأجل تحديدها<sup>2</sup>، ودلالة وصفه بالمسمى فيه تأكيد أنه على وجه لا يقبل التغيير<sup>3</sup>.

وقد جاء الأجل مقترناً وموصوفاً بالمسمى في سياقات ومواضع متعددة كانت على النحو التالي:

1. جاء في أحكام البيوع والعقود بمعنى الوقت المحدد، كما في قوله تعالى: **يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴿البقرة: 282﴾، إن علة ذكر الأجل في آية الدين على الرغم من أن الدين لا يكون إلا مؤجلاً، لأجل أن يوصف بالمسمى وذلك ليعلم أن الأجل يجب أن يكون محدداً ومعلوماً باليوم والشهر والسنة، لا يحدث أو عمل كقدوم الحجيج أو الحصاد مثلاً؛ لعدم حصول التسمية فيها، وعليه فإن الجهالة فيه لا تجوز<sup>4</sup>. وهو ما فسرتة السنة بقوله صلى الله عليه وسلم: (إلى

<sup>1</sup> السمعاني: تفسير القرآن، ج1، ص 283.

<sup>2</sup> ينظر: الحرالي، أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي (638هـ): تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، (الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، ط1، 1418هـ-1997م)، ص481. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (1393هـ): التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (تونس: دار التونسية للنشر، 1984هـ)، ج14، ص191+ ج7، ص277. جبل، محمد حسن حسن: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 2010م)، ج2، ص1068.

<sup>3</sup> ينظر: بريل: جى. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: إبراهيم زكي خورشيد، وآخرون، تحرير: م. ت. هوتسما، وآخرون، مراجعة وإشراف: أ. د. حسن حبشي، وآخرون، (مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1418هـ-1998م)، ج2، ص445.

<sup>4</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج7، ص92. أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، 1420هـ)، ج2، ص723.

أجل معلوم)، في الحديث الذي يرويه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون بالتمر السننتين والثلاث، فقال: من أسلف في شيء ففي كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم"<sup>1</sup>. وهذا فيه بيان أن بيع السلم لا يجوز حتى يكون الأجل معلوماً ومحددًا<sup>2</sup>.

2. وجاء بمعنى يوم البعث، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ ۗ

ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 2]، الأجل المسمى هنا هو أجل البعث وقيام الساعة، وهو أصح ما قيل

في تفسيرها لمناسبتة لسياق الآية في تقرير حقيقة البعث وقدرة الله على الخلق<sup>3</sup>، ومن اللطائف في

الآية أن إعادة النكرة بعد نكرة يفيد أن الثانية غير الأولى، أفاد ذلك أن هناك أجلين: أجل تعرف مدته

بموت صاحبه، وأجل معين المدة في علم الله، وفي الآية توجه من الغيبة إلى الخطاب في قوله (هو

الذي خلقكم) وفي ذلك توبيخ للمخاطب وهم المشركين الذين ينكرون أجل البعث وهم يرون حدوث

الأجل الأول أمام أعينهم وهو أجل الموت (ثم قضى أجلاً) فيذكركم بخلقهم الأول من طين الذي يفسد

استدلالهم بإنكار البعث لأنهم يصيرون تراباً وهو جدير بأن يكون استدلالاً على حقيقة البعث فالإعادة

أهون من الابتداء فهم صاروا إلى مادة الخلق الأول<sup>4</sup>. وفي قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم

بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: 60]، الأجل

المسمى هنا هو الذي ضربه الله للبعث والجزاء<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، كتاب السلم، باب السلم في وزن معلوم، رقم: 2240، ج3، ص85. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، كتاب المساقاة، باب السلم، رقم: 1604، ج3، ص: 1226.

<sup>2</sup> ينظر: الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (388هـ): أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، تحقيق: د. محمد بن سعد آل سعود، (جامعة أم القرى: مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط1، 1409هـ-1988م)، كتاب السلم، باب السلم في وزن معلوم، رقم: 2240، ج2، ص1108-1109.

<sup>3</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج11، ص256-260.

<sup>4</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج7، ص131-132.

<sup>5</sup> ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج2، ص32.

3. في سياق الخلق كقوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ

طِفْلًا﴾ [الحج: 5]، فكان بمعنى وقت خروج المولود من الرحم تام الخلق والمدة<sup>1</sup>، وذلك لمن كتب

الله له الحياة من الأجنة؛ لأن سياق الآية يتحدث عن مراحل خلق الإنسان، فيبقى الجنين في رحم أمه إلى الأجل المسمى وهو الوقت الذي ضربه الله لتمام خلقه وولادته، وقدر له في اللوح المحفوظ، فإذا تم ذلك أذن له بالخروج طفلاً<sup>2</sup>.

4. بمعنى وقت النحر كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:

33]، أي "إلى أن تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها"<sup>3</sup>، و"لا يليق إلا بأن تحمل الشعائر على الهدى الذي فيه منافع إلى وقت النحر"<sup>4</sup>.

5. في تسخير الشمس والقمر، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي

الْأَيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: 29]، فالله سبحانه سخر الشمس والقمر يجريان بأمره إلى وقت معلوم وأجل محدود إذا بلغاه كوّرت الشمس والقمر، وهذا التسخير لمصلحة الخلق ومنفعتهم<sup>5</sup>، ومدلول (مسمى) في الآية يصلح فيه القصر والطول، القرب والبعد، فالיום الواحد والشهر القمري أو الشمسي والسنة الواحدة بدوران الأرض حول الشمس دورة كاملة... الخ، تقع كلها ضمن (أجل مسمى)، لذلك فإن مدلول: (يجري لأجل مسمى) ثابت رغم تغير شكله، أي أنه محدود النهاية برغم تغير مدده أو أطواله حتى قيام الساعة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (427هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، (لبنان - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ-2002م)، ج7، ص8.

<sup>2</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج18، ص569. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (538هـ): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، ج3، ص144.

<sup>3</sup> الزمخشري: الكشف، ج3، ص157.

<sup>4</sup> الرازي: مفاتيح الغيب، ج23، ص224.

<sup>5</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج20، ص154.

<sup>6</sup> ينظر: النعيمي، حميد مجول: الكون وإساره في آيات القرآن الكريم، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، مكتبة الرائد العلمية، 2000م)، ص73+74.

6. بمعنى موعد الموت المحدد، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي

مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: 42]،

الأجل المسمى هنا هو الوقت الذي ضربه الله لموتها<sup>1</sup>، وهو "عمر كل إنسان"<sup>2</sup>، وفي الآية تنبيه على عظيم قدرة الله على الإحياء والإماتة وتأكيد لحقيقة البعث، فالله يتوفى الأنفس عند انقضاء أجلها ومدة حياتها فيمسك عنها أرواحها أن ترجع إليها، ويتوفى التي لم تمت في منامها، فيرسل أرواحها فترجع إليها إلى الأجل المسمى لها في اللوح المحفوظ عنده وذلك إلى انقضاء مدة حياتها، وهذا فيه العظة والعبرة لمن يتفكر ويتدبر<sup>3</sup>.

وهذه السياقات بمجموعها تبين صفة مهمة من صفات الأجل في كونه يجب أن يكون على التحديد والتعين، ولا تجوز فيه الجهالة، فلا يكون الأجل أجلاً إلا إذا كان مسمى.

ثانياً: الأجل القريب، ذكر لفظ (القريب) في القرآن الكريم مقروناً بالأجل ثلاث مرات، جاءت في سياق تمنى الظالمين المهلة وتأخير الأمر الرباني، إما حرصاً على الحياة الدنيا، أو طمعاً في حسن الخاتمة والتزود من الصالحات، والقريب هو: "تقيض البعيد"<sup>4</sup>، وقرب الشيء بمعنى دنا<sup>5</sup>، وهي صفة للأجل تدل على قصر الزمان، وكانت المواضع التي اقترن فيها الأجل ب(القريب) في ثلاثة مواضع:

- الموضع الأول: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَىٰ إِلَىٰ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ

عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: 77]، لولا أخرتنا إلى أجل قريب أي هلا أخرتنا

<sup>1</sup> ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص131.

<sup>2</sup> ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي المحاربي (542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ)، ج4، ص534.

<sup>3</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج21، ص298+299.

<sup>4</sup> الأزهري: تهذيب اللغة، ج9، ص110.

<sup>5</sup> ينظر: الجوهري: الصحاح، ج1، ص198.

إلى وقت انتهاء أجلنا فتموت على فراشنا، وهم بذلك يطلبون المهلة والاستزادة في مدة الكف عن القتال خوفاً من الموت قتلاً<sup>1</sup>.

- الموضوع الثاني: في قوله: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ مُجِبِّ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۝﴾ [إبراهيم: 44]، يوم يأتيهم العذاب، أريد به يوم القيامة، أو يوم هلاكهم بالعذاب العاجل، أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات، وأنهم يسألون أن يؤخرهم الله ويردهم إلى الدنيا لأجل قريب<sup>2</sup>، فهم بذلك يطلبون من الله مهلة يسيرة يؤخر الله فيها أجلهم بمقدار ما يؤمنون به ويجيبون دعوة الرسل، لعلهم بذلك يدفعون العذاب عنهم، وأيضاً الآية في معرض الإنذار (وأنذرهم)، وهذا فيه تنبيه لهم لما سيؤول إليه حالهم ليبادروا بالاستقامة.

- الموضوع الثالث: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝﴾ [المنافقون: 10]، فطلب التأخير لأجل قريب وزمان قصير ليحصل على مهلة يصلح فيها عمله، وهو يطلب ذلك ويتمناه ليقدم فيه عملاً صالحاً فقط، لأن هذا الإمهال لا يتسع لطلب العيش ونضرتته<sup>3</sup>، وهذا فيه حث أيضاً للمبادرة بالصالحات والصدقات.

يلاحظ أن المواضع الثلاثة التي اقتران فيها لفظ (قريب) بالأجل، تحمل دلالات متعددة ففيها معنى الرجاء من الله أن يستجيب لهم، ويقبل طلبهم، فهم يتمنون مهلة ولو يسيرة، كما أن ذلك مليء بمشاعر الحسرة والندم، وهذا فيه العظة والعبرة فإذا علمنا أن تأخير الأجل عن وقته مما لا سبيل إليه، وأن الأجل مهما طال فهو قريب وآت، لم يبق لنا إلا أن نحذر ونسارع إلى مغفرة الله والاستعداد للقائه، وأن نستدرك ما فات من أعمارنا قبل فوات الأوان.

<sup>1</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج8، ص548. الزمخشري: الكشاف، ج1، ص536.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج2، ص564+565.

<sup>3</sup> ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ج5، ص315.

ثالثاً: الأجل المعدود، والمعدود من العدّ بمعنى الإحصاء<sup>1</sup>، "والعدّ كناية عن القلة، وقد يجعل كناية عن التناهي"<sup>2</sup>، وقد ورد ذكر الأجل بهذه الصيغة مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: 104]، أي "لمدة مؤقتة لا يزداد عليها ولا ينتقص منها"<sup>3</sup>، وهذا فيه فائدتان: أن أجل القيامة محدد ومعين؛ في وقت لا يتقدم ولا يتأخر، وأنه أجل متناهي، وكل ما هو متناهي سيفنى وكل ما هو آت قريب<sup>4</sup>، وهذا فيه ترهيب أيضاً، حتى نقبل على الله بصالح الأعمال والنيات؛ لأن الأجل مهما طال فهو معدود تحسب فيه السنين والشهور والأيام والساعات والانفاس بدقة تامة، فهلا نعتبر.

رابعاً: أجل الله، وإضافته إلى الله هنا مرجعه أن الآجال جميعها لله يتحكم فيها، ومردّها إلى الله يحكم فيها، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم مرتين؛ الأولى عند قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: 5]، أي من كان يرجو لقاء الله، ويطمع في ثوابه؛ فإن أجل الله المضروب ليوم القيامة لآت وإذا كان وقت اللقاء آتياً كان اللقاء كائناً لا محالة وهذا فيه زيادة في التأكيد واليقين بقدمه، وفيه حث للسعي لمرضاة الله والمبادرة بالصالحات<sup>5</sup>، والثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: 4]، أي أن أجل الله المكتوب في اللوح المحفوظ إذا جاء موعده لا يؤخر عن ميقاته ولا يتقدم<sup>6</sup>، وأضاف الأجل إليه سبحانه لأنه الذي أثبتته<sup>7</sup>، وهذا يفيد التعظيم والتحويل لأن مصدره رب العالمين وفيه التأكيد أن الله لا يخلف موعده، فهو أجل حتمي الوقوع إذا حان موعده لا يؤخر، وكون أن هذه الآجال مصدرها رب

<sup>1</sup> ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص29.

<sup>2</sup> الألويسي: روح المعاني، ج6، ص333.

<sup>3</sup> ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ-1999م)، ج4، ص350.

<sup>4</sup> ينظر: النيسابوري: الحسن بن محمد النيسابوري (850هـ): غرائب القرآن وרגائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ)، ج4، ص51.

<sup>5</sup> ينظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر البيضاوي (685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ)، ج4، ص188+189.

<sup>6</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج23، ص631.

<sup>7</sup> القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص299+300.

العالمين فهذا يفيد أيضاً أنها ثابتة ومحددة بدقة، إذ لو اختلفت منها شيء لاضطرب العالم<sup>1</sup>، ومن ذلك قوله تعالى في الشمس والقمر: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد:2]، وقال سبحانه: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيِلٌ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس:40]، فلا يجتمعان في وقت واحد ولا يكون أحدهما في وقت الآخر وذلك لأنهما يجريان بتقدير الله وحفظه<sup>2</sup>، وذلك لأن لكل منهما أجل ينتهي إليه، وحد لا يجاوز حتى تقوم الساعة<sup>3</sup>، قال تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ [القيامة:9]، وذلك يوم القيامة.

**خامساً:** لكل أجل كتاب، فكل هذه الآجال والغيبيات لها وقت مكتوب ومحدد عند الله في اللوح المحفوظ، واقتران الأجل بلفظ الكتاب ذكر مرة واحدة في القرآن الكريم عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد:38]، أي أن كل أجل له كتاب أثبت وكتب فيه، بما في ذلك الكتب السماوية فإن لكل منها وقتها<sup>4</sup>، "والكتاب: المكتوب، وهو كناية عن التحديد والضبط، لأن شأن الأشياء التي يراد تحققها أن تكتب لئلا يخالف عليها...، ولكل أجل كتاب، أي تعيين وتحديد لا يتقدمه ولا يتأخر عنه"<sup>5</sup>، وهذا يحمل معنى العموم لكل الآجال فكلها مردها لله رب العالمين، فهو الذي كتبها وقدرها في اللوح المحفوظ وهيء لها الأسباب، وكونها من عند الله فإنها ستقع لا محالة، وكونها كتبت فيه زيادة تأكيد على حتمية وقوعها عند مجيء أجلها.

<sup>1</sup> ينظر: العطار، عبد الناصر توفيق: الأجل في الالتزام دراسة مقارنة، (جامعة القاهرة: كلية الحقوق)، 1946، ص12.

<sup>2</sup> ينظر: الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ج8، ص521.

<sup>3</sup> ينظر: الثعلبي: الكشف والبيان، ج8، ص128+129.

<sup>4</sup> ينظر: البغوي: معالم التنزيل، ج4، ص324.

<sup>5</sup> ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج13، ص164.

## الفصل الثاني

### العلم بالأجل في القرآن الكريم وبيان زيادته ونقصانه

هذا الفصل يتحدث عن قضية العلم بالأجل، وأن هناك من الآجال ما استأثر الله بعلمه، ومنها ما أعلمه الله خلقه في عباداتهم وشعائرتهم، وما سن لهم أن يأخذوا به في تعاملاتهم، وعرض الفصل لقضية زيادة الأجل ونقصانه، وكان ذلك على النحو التالي:

#### المبحث الأول: العلم بالأجل

##### المطلب الأول: الأجل الذي اختص الله بعلمه

إن الآجال جميعها يحيطها علم الله سبحانه وتعالى، فإليه سبحانه يرجع الأمر كله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: 123]، وقال سبحانه: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: 80]، ومن هذه الغيبيات ما استأثر الله به فلم يطلع عليه أحداً من خلقه، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]، يفسرها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله"<sup>1</sup>، وهذه الآجال التي استأثر الله بعلمها، فلم يطلع عليها أحداً من خلقه، منها ما ذكرته الآية وبينه النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها غير ذلك نذكر منها التالي:

<sup>1</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً} و {إن الله عنده علم الساعة}، رقم: 7379، ج9، ص116.

1. أجل يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34]، أي "ولا يعلم متى تقوم

الساعة إلا الله"<sup>1</sup>، وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [سورة]

نُوحِرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: 103-104]، أي "لوقت معلوم لا يعلمه غير الله"<sup>2</sup>.

2. أجل خلق الإنسان وتكوينه في الرحم، قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: 34]، أي "لا

يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله"<sup>3</sup>، وهو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ

وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8]، أي ما ينقص فيه حمل المرأة عن التسعة

أشهر، أو ما يزيد في حملها عن التسعة أشهر فهذا كله لا يجاوز علم الله وقدره ولا يقصر عنه"<sup>4</sup>، قال

سبحانه: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: 5]، أي إلى أجل قدره الله وسماه

في أم الكتاب لذلك المولود، وذلك لأن مدة الحمل قد تختلف فتمتد من ستة أشهر إلى أكثر من ذلك

حسب تقدير الله وعلمه"<sup>5</sup>.

3. أجل موت الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: 34]، أي "ولا تدري

نفس بأي أرض تموت إلا الله"<sup>6</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

<sup>1</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا} وإن الله عنده علم الساعة، رقم: 7379، ج9، ص116.

<sup>2</sup> الواحدي: الوسيط، ج2، ص590.

<sup>3</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا} وإن الله عنده علم الساعة، رقم: 7379، ج9، ص116.

<sup>4</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج16، ص358+359.

<sup>5</sup> ينظر: الواحدي: الوسيط، ج15، ص265+266.

<sup>6</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا} وإن الله عنده علم الساعة، رقم: 7379، ج9، ص116.

كَتَبْنَا مُّوَجَّلًا ﴿آل عمران: 145﴾، أي بما قضاه الله وقدره في الوح المحفوظ<sup>1</sup>، فوقت الموت ومكانه لا يعلمه إلا الله.

4. أجل نزول المطر: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾ ﴿لقمان: 34﴾، أي "ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله"<sup>2</sup>، فوقت نزول المطر مما استأثر الله بعلمه.

5. أجل جريان الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ﴿لقمان: 29﴾، أي "لا يقصر دونه ولا يزيد عليه إلى الوقت الذي يكور فيه فيذهب ضوءه"<sup>3</sup>، و"قيل: إلى غاية محدودة. وقيل: إلى يوم القيامة. وكلا المعنيين صحيح"<sup>4</sup>.

6. أجل هلاك الأمم بالعذاب، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿العنكبوت: 53﴾، وهو الوقت الذي عين لعذابهم وفيه أقوال: إنه يوم القيامة، أو هو أجل الحياة إلى الموت أو أجل الموت إلى البعث، أو هو النفخة الأولى<sup>5</sup>، وهذه كلها علمها عند الله سبحانه وتعالى.

وهذه الأجال التي استأثر الله بعلمها قد يطلع الله عليها ملكاً مقرباً أو رسولاً مرسلأً وذلك وقت حدوثها أو قبيل ذلك بقليل وعندها لا تعد غيباً أو تكون من قبيل الغيب الجزئي، قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾ ﴿الجن: 26-27﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ

<sup>1</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج9، ص378+379.

<sup>2</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا} و{إن الله عنده علم الساعة}، رقم: 7379، ج9، ص116.

<sup>3</sup> يحيى بن سلام: تفسير يحيى بن سلام، ج2، ص681.

<sup>4</sup> ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج6، ص350.

<sup>5</sup> ينظر: الماوردي: النكت والعيون، ج4، ص290. السمعاني: تفسير القرآن، ج4، ص188.

رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: 179]، فالله سبحانه أخبر أنه لا يعلم الغيب إلا الله، وأنه يجتبي من يشاء من رسله فيطلعهم على ما يشاء من علم الغيب<sup>1</sup>، والمراد بالاطلاع على الغيب علم ما سيقع قبل أن يقع على تفصيله، فلا يدخل في هذا ما يكشف لهم من الأمور المغيبة عنهم<sup>2</sup>، فهذه الغيبات إذا أمر الله بها أعلمها لمن يشاء من خلقه كالملائكة الموكلين بذلك أو غيرهم<sup>3</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: 34]، فوقت الأجل ومكانه لا يعلمه إلا الله كما تبين سابقاً، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُّوَجَّلَاتٍ﴾ [آل عمران: 145]، وهذا الأجل الغيبي يطلع الله عليه ملك الموت عندما يحين أجل الإنسان، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42]، ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: 11]، "فأسند الفعل الأول إلى الأمر به، وفي الثاني إلى المباشر له"<sup>4</sup>، فاستخراج الملك للروح لا يكون إلا بإذن الله وقضائه وقدره<sup>5</sup>، فالله سبحانه عندما يحين أجل الإنسان يطلع ملك الموت على وقته ومكانه ويأذن له بقبض روحه.

ومنه أيضاً إعلام نبي الله هود عليه السلام بموعده هلاك قومه قبل نزوله، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَلْوَءٍ مَّقْطُوعٌ مُّصْحِحَاتٍ﴾ [الحجر: 66]، أي "أمضيناه وختمنا به، ثم أدخل في الكلام إليه من حيث أوحى ذلك إليه وأعلمه الله به"<sup>6</sup>، ومنه أيضاً إعلام الملائكة بموعده القيامة عند حدوثها،

<sup>1</sup> ينظر: الواحدي: البسيط، ج6، ص210.

<sup>2</sup> ابن حجر: فتح الباري، ج13، ص364.

<sup>3</sup> ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج6، ص352.

<sup>4</sup> الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد الأصفهاني (502هـ): تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، (جامعة طنطا: كلية الآداب، ط1، 1420هـ-1999م)، ج1، ص20.

<sup>5</sup> ينظر: ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين الحنفي (792هـ): شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط10، 1417هـ-1997م)، ج2، ص562.

<sup>6</sup> ابن عطية: المحرر الوجيز، ج3، ص368.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: 25]، فالملائكة في ذلك الوقت يعلمون قيام القيامة<sup>1</sup>.

إن من دلالات هذه الأجال التي اختص الله بعلمها وآثار الإيمان بها؛ اليقين بأن الله تعالى وحده يعلم الغيب، فيشعر العبد برقابة الله تعالى؛ وهذا يمنعه من الموبقات ويدفعه إلى العمل الصالح، وإلى الاجتهاد في استثمار عمره ووقته فيما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة.

### المطلب الثاني: الأجل الذي يعلمه البشر

وهذا الأجل مما يحتاجه الناس في حياتهم الدينية والعملية، ويقسم إلى قسمين:

أولاً: ما شرعه الله من الأجال في العبادات والمعاملات:

وهذه الأجال شرعها الله لعباده بما ييسر عليهم شؤون عباداتهم ومعاملاتهم، ولأن مصدرها رب العالمين فهي ثابتة ومحددة وملزمة لا يملك أحد الزيادة عليها أو النقصان منها<sup>2</sup>، ومن الأمثلة عليها:

1. أجل الصلاة، فقد جعلها الله في خمس أوقات معلومة في اليوم واللييلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: 103]، أي جعل لها وقتاً مبيناً يجب عليهم أداؤها فيه<sup>3</sup>،

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النُّهَارِ وَرُفْعًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ [هود: 114]، وطرفي النهار هما الغداة

والعشي، وصلاة الغداة هي صلاة الفجر، وصلاة العشي منهم من رجح أنها صلاة المغرب ذلك لأن

أحد طرفي النهار هو صلاة الفجر، وهي تصلى قبل طلوع الشمس، فوجب أن يكون الطرف الآخر

صلاة المغرب لأنها تصلى بعد غروب الشمس، وقوله {وَرُفْعًا مِّنَ اللَّيْلِ} هي صلاة العشاء لأنها

<sup>1</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج30، ص678.

<sup>2</sup> ينظر: العطار: الأجل في الالتزام دراسة مقارنة، ص8-13.

<sup>3</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج9، ص170.

تصلى بعد مضي زلف من الليل<sup>1</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: 78]، فالصلاة عند دلك الشمس أي وقت الزوال هي صلاة الظهر، والصلاة من وقت دلك الشمس إلى غسق الليل هي صلاة العصر، وغسق الليل: هو إقباله ودنوه بظلامه، وهذا لا يكون إلا بعد غروب الشمس وهو وقت صلاة المغرب، وقرآن الفجر هي صلاة الفجر<sup>2</sup>، فكانت هذه أوقات الصلاة التي بينها الله لنا.

2. أجل الصوم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٨٣] أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: 183-185]، فالله سبحانه بين للمسلمين أيام الصيام التي فرضت عليهم وهي بإجماع المفسرين في شهر رمضان المبارك<sup>3</sup>، فيكون الصيام من الفجر إلى المغرب؛ قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: 187].

3. ميقات الحج، قل تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: 197]، وهي شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة في الراجح من أقوال المفسرين لأنها خبر من الله عن ميقات الحج<sup>4</sup>، قال تعالى: ﴿لَكُمْ

<sup>1</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج15، ص502-506.

<sup>2</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج17، ص516-523.

<sup>3</sup> ينظر: الواحدي: الوسيط، ج1، ص272.

<sup>4</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج4، ص120. الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ج2، ص85. السمرقندي: بحر العلوم، ج1، ص132.

فِيهَا مَنَفِعٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ [الحج: 33]، والأجل المسمى هو وقت

النحر<sup>1</sup>، وهو العاشر من ذي الحجة.

4. عدة المتوفى عنها زوجها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَيَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ

أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ حَيِّرٌ ﴿٣٤﴾ [البقرة: 234]، وفيها بيان لحكم المتوفى عنها زوجها أن تعتد أربعة أشهر

وعشراً إلا أن تكون حاملاً<sup>2</sup>، قال تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:

4]، فمثل هذه الأجال جاء تحديدها من الله سبحانه، فكانت ثابتة وملزمة، ولا تقبل زيادة ولا نقصان

فيها.

ثانياً: ما وضعه البشر من الأجال في تعاملاتهم:

وهذه الأجال مصدرها العباد يحددونها بإرادتهم بما يبسر عليهم شؤونهم وتعاملاتهم بتوجيه رباني، وقد

تكون في صورة اتفاق بين طرفين، أو بإرادة طرف واحد، فهي غير ثابتة، وتقبل التقديم والتأخير، وتقبل

الزيادة والنقصان، وقد يطرأ عليها تغير بسبب وفاة أو مرض أو غير ذلك<sup>3</sup>، ومن الأمثلة عليها:

1. الأجل في الديون والبيوع الآجلة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ

أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: 282]، وهذا يشمل كل الديون المؤجلة إلى أجل مسمى معلوم بين

الطرفين، كالبيع بدين أو الشراء بدين، وكذلك كل ما جاز بيعه من الأملاك بثمن مؤجل، وقد يدخل

فيه القرض والسلم، على أن يكون الأجل معلوماً بحد موقوف عليه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الطحاوي، أحكام القرآن الكريم، ج2، ص304-310. الرازي: مفاتيح الغيب، ج23، ص224. الزمخشري: الكشاف، ج3، ص157.

<sup>2</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج5، ص79.

<sup>3</sup> ينظر: العطار: الأجل في الالتزام دراسة مقارنة، ص11-13.

<sup>4</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج6، ص43.

2. الأجل في العقود والشركات، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ<sup>ط</sup> إِنَّ خَيْرَ مَنِ

اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَنُؤَيِّدَ بِنُؤَيْدِكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي

ثَمَنِي حِجًّا فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُنَّ بِكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ

مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا

نَقُولُ وَكَالِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨﴾ [الفصل: 26-28]، فأبو المرأتين اللتين سقى لهما موسى؛ زوج موسى إحدى

ابنتيه، وجعل صداقها أن يرعى ماشيته ثماني سنين، وإن أتمها عشراً فأحسان منه<sup>1</sup>. والآية تبين

مشروعية الأجل في عقد الإجارة، وأنها كانت مشروعة معلومة في كل ملة لحاجة الناس إليها وتحقيقاً

لمصالحهم<sup>2</sup>.

فمثل هذه الأجل يرجع تعيين الأجل فيها ومعلوميته إلى التراضي بين الطرفين، فقد تختلف من عقد لآخر

ومن وقت لآخر، ومن فوائدها أن الله شرعها ليبسر على العباد دينهم ومعاملاتهم، فيحميهم ذلك من

التخبط وأكل الحقوق، كما أن فيها تحقيق لمصالح الناس، بما يتفق مع روح الشريعة الإسلامية.

<sup>1</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج19، ص565.

<sup>2</sup> ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص271.

## المبحث الثاني: الأجل بين الزيادة والنقصان

إن قضية زيادة الأجل ونقصانه من القضايا المشكّلة في تفسير القرآن الكريم وشروح السنة؛ وذلك لوجود نصوص من الكتاب والسنة يوهّم ظاهرها التعارض، وفي هذا المبحث عرض لموقف المفسرين وطريقتهم في توجيه التعارض ودفع الاختلاف بين النصوص الواردة في زيادة الأجل ونقصانه، وخلاصة القول في المسألة:

### المطلب الأول: موقف المفسرين من زيادة الأجل ونقصان

**الموقف الأول:** أن الأجل يزيد وينقص، وأن إثبات حقيقة الزيادة والنقصان لا ينافي النصوص، وإنما يتعلق بما في علم الملائكة وصحفهم، واختلفوا في الزيادة فمنهم من قال هي على الحقيقة، ومنهم من قال هي معنوية، ومنهم من جعلها تحمل كلا المعنيين<sup>1</sup>، ومما استدلوا به في إمكانية الزيادة والنقصان:

1. ﴿إِنَّ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: 3-4]، قالوا: إن وصف الأجل بأنه مسمى، وتعليق تأخيره بشرط الإيمان والطاعة، صريح في أن هناك أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا<sup>2</sup>، فهذه الآية تدل أن زيادة العمر بالعبادة والطاعة وصلة الرحم زيادة حقيقة<sup>3</sup>.

2. ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: 39]، قالوا: الآية عامة في كل شيء، وهذا ما يقتضيه ظاهر النص، ومن ذلك الأجل، فيمحو الله منه ويزيد فيه<sup>4</sup>، ورد بعضهم على من قصر الآية على بعض الأمور بأن هذا لا يدرك بالرأي والاجتهاد، فهو من أمور العقيدة التي تؤخذ

<sup>1</sup> ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (911هـ): إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه، تحقيق: أسامة بن عبد العليم آل عطوة، (جدة: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، ط1، 2000م)، ص1-43. الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني (1250هـ): تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، تعليق وتخريج: مشهور حسن سليمان، (دار ابن حزم)، ص1-45.

<sup>2</sup> ينظر: الألوسي: روح المعاني، ج15، ص79.

<sup>3</sup> ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج8، ص231.

<sup>4</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج19، ص51. الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني (1250هـ): فتح القدير، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ)، ج3، ص105.

توقيفاً، فالأظهر أن الآية عامة في كل شيء<sup>1</sup>، على أن المحو والإثبات يكون في صحف الملائكة فقط، أما علم الله فلا محو ولا اثبات فيه ولا اختلاف<sup>2</sup>.

3. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: 11]، قالوا: الضمير في قوله {ولا ينقص من عمره} يعود على {من معمر} أي ما يزيد وينقص من عمر ذلك المعمر في كتاب، وهذا موافق لظاهر النص، ولا يجوز أن نرجع الضمير إلى ما لا وجود له في النظم، والنقص المشار إليه في الآية يقابله الزيادة، فلا يجوز أن يفسر بغيره، والأولى أن يقال إن ظاهر النظم يفيد أن زيادة العمر ونقصانه هي بقضاء الله وقدره لأسباب تقتضي الزيادة؛ كصلة الرحم، وأسباب تقتضي النقص؛ كالإكثار من المعاصي ونحو ذلك، وهذا كله مبين في كتاب، ويجري بعلمه سبحانه، فلا يوجد تعارض مع قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: 61]، لأنها مقيدة بحضور الأجل، أما قبل ذلك فيجوز أن يزيد الأجل أو ينقص بأسباب الخير والشر<sup>3</sup>.

4. قوله صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره، فليصل رحمه"<sup>4</sup>، وينسأ في أثره أي يمد له في أجله<sup>5</sup>، فجعلوا صلة الرحم من أسباب زيادة العمر<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص329.

<sup>2</sup> ينظر: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم الحراني (728هـ): مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م)، ج14، ص492.

<sup>3</sup> ينظر: الشوكاني: فتح القدير، ج4، ص392+393. الشوكاني: تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، ص17-19+ ص27-29.

<sup>4</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم: 5986، ج8، ص5. مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم: 2557، ج4، ص1982.

<sup>5</sup> ينظر: ابن حجر: فتح الباري، ج10، ص416.

<sup>6</sup> ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص470، الشوكاني: فتح القدير، ج4، ص392.

**الموقف الثاني:** أن الأجل لا يزيد ولا ينقص، والنصوص التي تذكر الزيادة في الأجل تقول بمعاني أخرى، أو تحمل على المجاز، نحو البركة والذكر الحسن وعمارة الأوقات بالصالحات وغيرها<sup>1</sup>، ومما استدلوا به على امتناع زيادة الأجل ونقصانه:

1. قول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:

34]، استدلوا بها على أن الأجل إذا حان ووقع حتماً لا يزيد ولا ينقص<sup>2</sup>.

2. قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 11]، أي

إن الله لا يؤخر أجل أحد ولا يمد له فيه إذا انقضى أجله وحضر موته<sup>3</sup>.

3. قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: 4]، أي إن كل أجل كتب عند الله في اللوح

المحفوظ، إذا جاء لا يؤخر عن ميقاته، ومنه أجل الموت والعذاب والساعة وغيرها<sup>4</sup>.

4. قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ

يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ

ثُمَّ يَنْفِخُ فِيهِ الرُّوحَ"<sup>5</sup>، وفي رواية أخرى: "فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصّحيفة

<sup>1</sup> ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (911هـ): إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه، تحقيق: أسامة بن عبد العليم آل عطوة، (جدة: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، ط1، 2000م)، ص1-43. الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني (1250هـ): تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، تعليق وتخريج: مشهور حسن سليمان، (دار ابن حزم)، ص1-45.

<sup>2</sup> ينظر: الخازن، علي بن محمد بن ابراهيم (741هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج3، ص23. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص331.

<sup>3</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج23، ص412. مكي بن أبي طالب، مكي بن أبي طالب بن مختار (437هـ): الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، (جامعة الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ط1، 1429هـ-2008م)، ج12، ص7494.

<sup>4</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج23، ص631. الواحدي: البسيط: ج22، ص250.

<sup>5</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَوْ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، رقم: 3332، ج4، ص133. مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 2643، ج4، ص2036.

في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص"<sup>1</sup>، فهذا يدل أن أجل الإنسان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه في كتاب مبين، وعلى حكم واحد، ولأنه قد صدر عن علم سابق محيط، ولأن خلاف ذلك يعني أن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها على حسب ما تكون، وهذا لا يجوز في حق الله<sup>2</sup>.

5. عن عبد الله بن مسعود، قال: "قالت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأبي سفيان، وبأخي معاوية قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد سألت الله لأجال مضرورية، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئاً قبل حله، أو يؤخر شيئاً عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيراً وأفضل"<sup>3</sup>، فهذا الحديث صريح في أن الأجل مقدر لا تزيد ولا تنقص؛ لأن ما علمه الله في الأزل لا يتبدل ولا يتغير<sup>4</sup>.

#### المطلب الثاني: خلاصة القول في مسألة زيادة الأجل ونقصانه

قضية الأجل ثابتة ومطلقة في كتاب الله لا تزيد ولا تنقص أبداً، وأغلب من تناول هذه المسألة بالدراسة ذهب إلى أن الخلاف لفظي وليس حقيقياً<sup>5</sup>، وذلك لا يسلم لهم؛ لأن القول بزيادة الأجل ونقصانه وإثبات ذلك لا يتساوى مع نفيه، والكثير من المفسرين الذين تناولوا المسألة بالدراسة دفعوا التعارض بين النصوص بالجمع بينها، فحملوا النصوص التي تثبت زيادة الأجل ونقصانه على ما في صحف الملائكة أو قالوا هي

<sup>1</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 2645، ج4، ص2037.

<sup>2</sup> ينظر: ابن فورك، محمد بن الحسن الأنصاري (406هـ): مشكل الحديث وبيانه، تحقيق: موسى محمد علي، (بيروت: عالم الكتب، ط2، 1985م)، ص307+308. ابن الفراء: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين (458هـ): إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق ودراسة: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي، (الكويت: دار إيلاف الدولية، ط1، 1416هـ-1995م)، ص429-432.

<sup>3</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر: باب بيان أن الأجل والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، رقم: 2663، ج4، ص2050.

<sup>4</sup> ينظر: المازري، محمد بن علي بن عمر (536هـ): المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، (الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، ط2، 1988م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م)، ج3، ص325+326. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (676هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ)، ج16، ص213.

<sup>5</sup> ينظر: ابن حجر: فتح الباري، ج11، ص488. مرعي الكرمي: إرشاد ذوي العرفان لما في العمر من الزيادة والنقصان، ص64+69.

بأسباب مقدرة تقتضي ذلك، وحملوا النصوص التي تمنع الزيادة والنقصان في الأجل على ما علمه الله من الأجل وعلى الأجل حين وقوعه، فقالوا بحصول الزيادة والنقصان في الأجل حقيقةً ومجازاً<sup>1</sup>، وهذه النتيجة أيضاً لا يسلم بها؛ فقولهم بأن الأجل يزيد وينقص على الحقيقة منقوض بالأدلة الصحيحة الواضحة التي تثبت أن الأجل لا يزيد ولا ينقص، كقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:34]، وقوله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون:11]، وقوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح:4]، وغيرها مما استدل به المانعون لزيادة الأجل ونقصانه. ومما يؤكد أن الأجل ثابت لا يزيد ولا ينقص، أن كل من قال بحصول الزيادة والنقصان في الأجل يجمع على أن ما في علم الله من الأجل ثابت لا يتغير ولا يتأخر عن مواعده إذا حضر<sup>2</sup>، وإنما نسبوا الزيادة والنقصان إلى ما في صحف الملائكة، وإلى الأجل قبل أن يجيء مواعده، وهو كلام لا دليل عليه إلا فهمهم ينازعون فيه؛ لأن الملائكة ليس لهم من الأمر شيء إلا كتابة ما أمرهم الله وفعل ما أمرهم الله به، وهذا كله حكم واحد صادر عن عليم حكيم، فلماذا يختلف ما في علم الله عما أمر الله الملائكة بكتابته وهو كله من الله، والملائكة ليس لهم إلا الطاعة؟! وهذا موجود في الحديث: "فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص"<sup>3</sup>، فتبين أن الملائكة تدون ما أمر الله وتنفذ ما كتب. ثم إن كل ما استدلوا به على زيادة الأجل ونقصانه ليس صريحاً في إثبات الزيادة والنقصان، إنما هو محل خلاف في تفسير العلماء، ويؤول بمعاني أخرى، أو يحمل على المجاز كالبركة

<sup>1</sup> ينظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (276هـ): تأويل مختلف الحديث، (مؤسسة الإشراف: المكتب الإسلامي، ط2، 1419هـ-1999م)، ص293+294. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي الجوزي (597هـ): كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، (الرياض: دار الوطن)، ج3، ص185-187. ابن حجر: فتح الباري، ج10، ص416. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص330-331. ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج14، ص490-491.

<sup>2</sup> ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص331. ابن حجر: فتح الباري، ج11، ص488. مرعي الكرمي: إرشاد ذوي العرفان لما في العمر من الزيادة والنقصان، ص64+69. ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج14، ص490-492.

<sup>3</sup> مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 2645، ج4، ص2037.

في العمر، بينما هناك نصوص صريحة تؤكد امتناع الزيادة والنقصان في الأجل، لا ينبغي تجاوزها أو قصر معناها.

إن قضية ثبات الأجل وامتناع زيادته ونقصانه توافق ما ذكر في المبحث الأول من هذا الفصل وتترتب عليه، من أن وقت الأجل ومكانه هو مما اختص الله بعلمه، فما علم الله من الآجال وما كتب الله وقدر في صحف الملائكة لا يقبل الزيادة والنقصان ولا يجوز عليه التبديل لأنه صادر عن حكم الله الواحد، فغاية ما في الأمر أن يبارك الله هذا الأجل، فعلى الإنسان أن يحسن العمل، ففي آثار السابقين وتراجمهم أن أعمار بعضهم على قصرها كانت عامرة بالصالحات واتسعت للكثير من الإنجازات.

## الفصل الثالث

### أنواع الآجال الواردة في القرآن الكريم

هذا الفصل يتحدث عن أنواع الآجال الواردة في القرآن الكريم، نحو أجل الإنسان، من مبتدأ خلقه في الأرحام حتى موته، ويتحدث عن أجل الأمم وفناءها، وأجل الكون وما فيه، وبيان بعض ما جاء في ذلك من التفسير العلمي، ويتناول الحديث عن أجل الآخرة وفناء الدنيا والبعث للحساب، على النحو الآتي:

#### المبحث الأول: أجل الإنسان

تقدم في الفصل السابق أنّ أجل الإنسان من الآجال التي اختص الله بعلمها من بداية خلقه وتكوينه في الرحم حتى ساعة أجله ووفاته، وفي هذا المبحث بيان لهذا الأجل بشيء من التفصيل، وما ورد فيه من التفسير العلمي.

#### المطلب الأول: أجل خلق الإنسان في الأرحام

من الآيات الدالة على عظمة الله وعلى بديع صنعه؛ قضية خلق الإنسان من بدء وجوده، واستقراره في الرحم، مروراً بأطوار متعددة حتى يخرج من رحم أمه بعد تمام خلقه، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّبَيِّنٍ لَّكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ سَيِّئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٥﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي

قَرَارِ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ

لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون: 12-14].

فهذه الآيات فيها بيان لمراحل وأطوار خلق الإنسان؛ طوراً بعد طور حتى يخرج إلى الدنيا طفلاً، إلا أن الآيات لم تذكر زمن كل طور منها<sup>1</sup>، وفي آية المؤمنين، جاء التفصيل بذكر طور العظام واللحم يكسوها، وكيف أن الله سبحانه ينشئها خلقاً آخر، ومنهم من رجح أن ذلك بنفخ الروح فيها، لأنها بنفخ الروح تتحول من المعاني والأطوار المذكورة إلى معنى الإنسانية<sup>2</sup>.

وهذه المراحل والأطوار التي ذكرتها الآيات لم يرد أي نص قطعي الثبوت والدلالة يبين مدة كل منها<sup>3</sup>، والأحاديث التي تحدثت عن أجل خلق الإنسان في الرحم؛ وجاءت على ذكر هذه الأطوار مع أزمانها؛ كانت من الأحاديث المشككة، ومن أبرزها رواية ابن مسعود، التي جاء ذكرها في الصحيحين مع اختلاف في الألفاظ، ففي رواية البخاري: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ثُمَّ يَنْفِخُ فِيهِ الرُّوحَ"<sup>4</sup> وفي رواية مسلم: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسِلُ الْمَلَكُ فَيَنْفِخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بَكْتَبُ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ"<sup>5</sup>، أما عن تفسير أجل كل من النطفة والعلقة والمضغة؛ فقد ذكر جل المفسرين<sup>6</sup> أنها أربعون يوماً لكل طور منها، فيكون مجموع هذه الأطوار مئة وعشرين يوماً، وكذلك نقل

<sup>1</sup> ينظر: الطبري، جامع البيان، ج18، ص569.

<sup>2</sup> ينظر: الطبري، جامع البيان، ج19، ص18.

<sup>3</sup> ينظر: القضاة، شرف محمود محمد: متى تنفخ الروح في الجنين؟، (الجامعة الأردنية: مجلة دراسات، م13، ج12، 1986م)، (الأردن: عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ-1990م)، ص27.

<sup>4</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم: 3208، ج4، ص111.

<sup>5</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 2643، ج4، ص2036.

<sup>6</sup> ينظر: يحيى بن سلام: تفسير يحيى بن سلام، ج1، ص394. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص8. الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (سوريا: دمشق، دار الفكر، لبنان: بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1411هـ-1991م)، ج17، ص162.

الإجماع عدد من علماء الحديث<sup>1</sup>، إلا أن هذا التفسير يخالف الحقائق العلمية في علم الأجنة، التي تبين أن هذه الأطوار تكون في الأربيعين الأولى<sup>2</sup>، وسبب وقوع الخلاف هو الاختلاف في فهم رواية ابن مسعود التي في البخاري، فعليها اعتمد العلماء القائلون إن أجل كل من النطفة والعلقة والمضغة هو أربعون يوماً لكل طور منها، وأن نفخ الروح يكون بعد مئة وعشرين يوماً، فهم فسروا الرواية على ظاهرها، في حين أن ظاهر رواية ابن مسعود في صحيح مسلم يبين أن ذلك يكون في خلال الأربيعين الأولى من عمر الجنين، فقد ورد في متنها زيادة قوله: "ثم يكون في ذلك علقهً مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغَةً مثل ذلك"<sup>3</sup>، فقوله (في ذلك) يفيد أن ذلك يكون في الأربيعين الأولى نفسها، فلا وجود لأربيعين ثانية ولا ثالثة<sup>4</sup>، أما عن قوله (مثل ذلك) أي أن هناك تشابهاً في هذه الأطوار في الأربيعين الأولى من الحمل، وهو عدم وجود الروح فيها؛ لأن الجنين ناقص الخلقة في كل هذه المراحل، أو لعدم كتابة القدر فيها<sup>5</sup>، ويؤكد هذا الفهم روايات حذيفة بن أسيد الغفاري في صحيح مسلم، وهي قوله صلى الله عليه وسلم: "يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقرّ في الرحم بأربيعين، أو خمسة وأربعين ليلةً، فيقول: يا ربّ أشقيّ أو سعيد؟ فيكتبان، فيقول: أي ربّ أذكر أو أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه، ثم تطوى الصّحف، فلا يزداد فيها ولا ينقص"<sup>6</sup>،

<sup>1</sup> ينظر: القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض (ت: 544هـ): إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، ج8، ص123. النووي: المنهاج، ج16، ص191. ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي (ت: 795هـ): جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط7، 1417هـ-1997م)، ج1، ص155. العيني: محمود بن أحمد بن موسى (855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها محمد منير عبده أغا الدمشقي، وصورتها دور أخرى: مثل (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر)، ج3، ص293.

<sup>2</sup> ينظر: Moore, Keith L., Trivedi Vidhya Nandan Persaud, and Mark G. Torchia. The developing human - e-book: clinically oriented embryology. Elsevier Health Sciences, (W.B. Saunders Company: Dar Al-Qiblah for Islamic Literature, Tbird edition, 1983), p84a+86c.

<sup>3</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 2643، ج4، ص2036.

<sup>4</sup> ينظر: فياض، محمد: إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، (القاهرة - بيروت: دار الشروق، ط1، 1420هـ-1999م)، ص134. القضاة، شرف محمود محمد: شرح الأربيعين النووية، (عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2016م)، الحديث الرابع: إن أحكم يجمع خلقه، ص56.

<sup>5</sup> ينظر: القضاة: متى تنفخ الروح في الجنين؟، ص25.

<sup>6</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 2644، ج4، ص2037.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلةً، بعث الله إليها ملكاً، فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها..."<sup>1</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ النطفة تقع في الرحم أربعين ليلةً، ثم يتصوّر عليها الملك..."<sup>2</sup>، وفي رواية: "أنَّ ملكاً موكلاً بالرحم، إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بإذن الله، لبضع وأربعين ليلةً"<sup>3</sup>، فهذه الروايات صريحة في أن هذه الأطوار تكون في الأربعين الأولى، وأن نفخ الروح يكون بعدها أو في عقبها، فلا بد أن يردّ المحتمل إلى الصريح وليس العكس، فتكون هذه الأطوار جميعها في الأربعين الأولى<sup>4</sup>.

أما عن وقت نفخ الروح فنجد أن ظاهر النص يبين أن نفخ الروح يكون بعد مرحلة الخلق واكتمال أطوار الجنين، وذلك في مرحلة النشأة خلقاً آخر، قال الله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون:14]، فذهب كثير من المفسرين إلى أنه يدل على نفخ الروح<sup>5</sup>.

أما عن وقت نفخ الروح على وجه الدقة؛ فلم يتمكن العلم حتى الآن من تحديد اليوم الذي تنفخ فيه الروح، إنما يذكرون ذلك على وجه التقريب<sup>6</sup>، وأما عن النصوص التي تذكر الأربعين فهي أيضاً للتقريب، لاختلاف روايتها في الأربعين وزياداتها، لكنها تقتضي أن ذلك يكون بعد الأربعين<sup>7</sup>، أو أن المدة تختلف

<sup>1</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 2645، ج4، ص2037.

<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 2645، ج4، ص2038.

<sup>3</sup> المرجع السابق

<sup>4</sup> ينظر: القضاة: متى تنفخ الروح في الجنين؟، ص25. الشوكي، محمد علي حسن: نفخ الروح في الجنين: بين إعجاز القرآن والسنة وبين الدراسات الطبية الحديثة، (مجلة وحدة الأمة، 2015م، ع4)، ص190-222.

<sup>5</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج19، ص18. الواحدي: الوسيط، ج3، ص286. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج5، ص466.

<sup>6</sup> ينظر: Moore: The developing human, 86c+94a.

<sup>7</sup> ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج4، ص241-242. ابن حجر: فتح الباري، ج11، ص481. القضاة: متى تنفخ الروح في الجنين؟، ص39.

بسبب اختلاف الأجنة في تخلقها وسرعة نموها<sup>1</sup>، ومع مزيد من التأمل في بعض النصوص كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً"<sup>2</sup>، يظهر أن جمع الخلق يدل أن الخلق كان مفترقاً ثم جمع، والخلية الإنسانية الأولى نصفها الحوين المنوي والنصف الآخر البيضة، وهي ما عبر عنه القرآن بالنطفة الأمشاج<sup>3</sup>، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان: 2]، وقد أجمع المفسرون أن الأمشاج هي الأخلاط، والنطفة الأمشاج هي اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة<sup>4</sup>، وعلمياً فإن الرحم يخزن الحيوانات المنوية في تجمعات غدد عنق الرحم، ويتم إطلاقها تدريجياً في ثلاثة أيام أو أربعة في الرحم فتشق طريقها إلى البويضة<sup>5</sup>، وتسمى الخلية الأولى التي ينشأ عنها الإنسان الزيجوت، وتخضع لسلسلة من الانقسامات أثناء مرورها في الأنبوب الرحمي<sup>6</sup>، ثم تدخل الرحم بعد ثلاثة أيام من الإخصاب وتسمى التوتة<sup>7</sup>، وفي رواية مسلم: "إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً"<sup>8</sup>، فيه إشارة أن نفخ الروح يكون بعد استقرار النطفة في الرحم بأربعين يوماً، أي أن الأربعين تبدأ من يوم الاستقرار وليس من يوم التلقيح، وهذا يحتاج إلى ستة أو سبعة أيام من وقت تكون النطفة الأمشاج<sup>9</sup>؛ لأن

<sup>1</sup> ينظر: ابن حجر: فتح الباري، ج 11، ص 481. البار، محمد علي: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، (جدة - الرياض - الدمام - الطائف: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط 4، 1403هـ - 1983م)، ص 233، القضية: متى تنفخ الروح في الجنين؟، ص 39.

<sup>2</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة، رقم: 3208، ج 4، ص 111. مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 2643، ج 4، ص 2036.

<sup>3</sup> ينظر: القضية: متى تنفخ الروح في الجنين؟، ص 27-28. القضية: شرح الأربعين النووية، الحديث الرابع: ان أحدكم يجمع خلقه، ص 52-53.

<sup>4</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج 24، ص 88. الرازي: مفاتيح الغيب، ج 30، ص 740. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 285. المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (1371هـ): تفسير المراغي، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط 1، 1365هـ - 1946م)، ج 29، ص 160. سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين (1385هـ): في ظلال القرآن، (القاهرة - بيروت: دار الشروق: ط 1، 1972م، ط 32، 2003م)، م 6، ج 29، ص 3779-3780.

<sup>5</sup> ينظر: Moore: The developing human, p29.

<sup>6</sup> ينظر: Moore: The developing human, p37.

<sup>7</sup> ينظر: Moore: The developing human, p37. القضية: متى تنفخ الروح في الجنين؟، ص 40. الشريف، عدنان: من علم الطب القرآني الثوابت العلمية في القرآن، (لبنان: بيروت، دار العلم للملايين، ط 1، 1990م)، ص 37.

<sup>8</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 2644، ج 4، ص 2037.

<sup>9</sup> ينظر: القضية: متى تنفخ الروح في الجنين؟، ص 40.

النفطة تستقر في الرحم في نهاية الأسبوع الأول<sup>1</sup>، وعلى هذا يكون نفخ الروح بعد الليلة التاسعة والأربعين، أي في الأسبوع الثامن، وهذا الرأي يوافق جميع الروايات، ويحمل المطلق منها الذي لم يذكر الاستقرار على المقيد الذي ذكر الاستقرار<sup>2</sup>، واستثناساً ببعض النصوص، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة: 9]، ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 7]، نجدها تشير إلى أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد التسوية، وهذه التسوية تكون بعد تخلق الجنين مباشرة، فيتقوم وضع الانحناء في الجنين مع تشكل العظام، ونجد أن جميع الأجهزة والأعضاء تكون قد تخلقت وتميزت فيها صورة الإنسان في الأسبوع الثامن<sup>3</sup>، ويرى العلماء أن علامة نفخ الروح وجود الحركات الحسية الإرادية<sup>4</sup>، وهذه الحركات لا تحدث إلا بعد نمو الدماغ، وقد سجل الطب نشاطاً كهربائياً لجذع الدماغ بعد اليوم الثاني والأربعين<sup>5</sup>، ولأن الأمر كما تبين مبني على التقدير؛ فيحتمل أن يكون نفخ الروح في أي وقت يشاء الله بعدها.

لقد اهتم الأطباء بمعرفة وقت نفخ الروح، لما يبني عليه من أحكام ومسائل، وبخاصة في قضية الإجهاض الطبي في حالات تشوه الأجنة وغيرها<sup>6</sup>.

إن خلاصة ما انتهت إليه الدراسات في علم الأجنة في مراحل وأطوار خلق الجنين يوافق كل ما ذكر من الناحية الشرعية؛ من أن بداية ذلك عند تكون النفطة الأمشاج، وهذه تستغرق أسبوعاً كاملاً حتى تعلق في الرحم، ثم تنتقل إلى طور العلقة، فيبدأ التعلق بجدار الرحم منذ اليوم السابع، وتستغرق هذه المرحلة أسبوعين، وتسميتها بالعلقه أدق ما توصف به هذه المرحلة لأن النفطة المتحولة تكون عالقة بجدار الرحم،

<sup>1</sup> ينظر: Moore: The developing human, p37، البار: خلق الإنسان، ص367. القضاة: متى تنفخ الروح في الجنين؟، ص40.

<sup>2</sup> ينظر: القضاة: متى تنفخ الروح في الجنين؟، ص40.

<sup>3</sup> ينظر: Moore: The developing human, p 336a+b,364a+446g، البار: خلق الإنسان، ص373-379. الصاوي، عبد الجواد: أطوار الجنين ونفخ الروح، (رابطة العالم الإسلامي: الإعجاز العلمي، ع8، 2011م)، ص12.

<sup>4</sup> ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (751هـ): التبيين في أقسام القرآن، تحقيق: محمد حامد الفقي، (لبنان: بيروت، دار المعرفة)، ص351. ابن حجر: فتح الباري، ج11، ص482.

<sup>5</sup> ينظر: البار، محمد علي: الحياة الإنسانية الدنيوية، (دم) ص4-5.

<sup>6</sup> ينظر: البار، محمد علي: الوجيز في علم الأجنة القرآني، (جدة - الرياض - الدمام - الطائف: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، 1405هـ-1985م)، ص61.



تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ [البقرة:

28]، وموت الإنسان من الناحية الطبية هو انعدام الحياة في البدن؛ ويتحدد ذلك بموت جذع الدماغ، فیدخل المحتضر في إغماء كامل لا یفوق منه، یتوقف معه الدماغ والقلب والتنفس توقفاً لا رجعة فيه، حتى لو بقيت بعض أجهزة الجسم تعمل<sup>1</sup>. وحياة الإنسان في هذه الدنيا مؤقتة لا تدوم أبداً، وقد قال الله سبحانه بعد ذكر أطوار خلق الإنسان: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون: 15]. فكان الموت طوراً من أطوار النشأة الإنسانية، والنهائية الحتمية لحياة هذا الإنسان<sup>2</sup>، إلا أن هذه النهاية ليست العدم المحض، بل هي حياة برزخية ينتقل فيها الإنسان من دار إلى دار<sup>3</sup>، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ وَرَّآهُمْ بَرَّخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [المؤمنون: 100]، والبرزخ هو الحاجز بين الدنيا والآخرة، فلا يرجعون للدنيا، ولا يصلون للآخرة ويمتد ذلك من وقت الموت إلى يوم البعث<sup>4</sup>.

وأجل الموت من الأجل التي اختص الله بعلمها فلا يعلم أحد متى يموت<sup>5</sup>، وهو من القضايا التي لا ينازع فيها أحد، فهي من المسلمات اليقينية عند البشر، فكل حي سيمر بهذه المرحلة في ساعة لا تتقدم ولا تتأخر<sup>6</sup>، قال الله سبحانه: ﴿وَلَكِنْ يُؤَخَّرُهُمُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل: 61]، فالله سبحانه قدر الأجل لجميع الناس؛ فإذا حان أجل موتهم فماتوا أو قتلوا

<sup>1</sup> ينظر: البار: الحياة الإنسانية الدنيوية، ص 47-51. الأشقر: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة: بدء الحياة ونهايتها في المفهوم الإسلامي، ص 105-106.

<sup>2</sup> ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، م 4، ج 18، ص 2460.

<sup>3</sup> ينظر: زقزوق، محمود حمدي وآخرون: الموسوعة القرآنية المتخصصة، (مصر: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1423هـ-2002م)، ج 1، ص 806.

<sup>4</sup> ينظر: يحيى بن سلام: تفسير يحيى بن سلام، ج 1، ص 416. مكي بن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية، ج 7، ص 5001.

<sup>5</sup> تقدم ذلك في المطلب الأول من المبحث الأول في الفصل الثاني من هذا البحث.

<sup>6</sup> ينظر: ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله وآخرون: مجلة البحوث الإسلامية، (السعودية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد الثامن، 1403-1404هـ)، ج 8، ص 258-260.

فذلك عند انتهاء أجلهم المسمى لهم؛ فمن قتل منهم فهو ميت بأجله<sup>1</sup>، وعند المعتزلة: أن المقتول لو لم يقتل لعاش فأجل الموت عندهم هو غير وقت القتل<sup>2</sup>، وهذا باطل ولا يجوز في حق الله<sup>3</sup>.

وذكر الموت مقام بليغ يستحق التأمل والتفكير، فمهما طال عمر الإنسان فإن خاتمته الموت، فهي مهلة مهما طالقت قليلة ومعدودة، فينبغي أن نأخذ منها زادنا وحظنا للأخرة، وأن نعتبر ونسارع إلى مغفرة الله والاستعداد للقائه.

### المطلب الثالث: ما ورد في التفسير العلمي في تحديد أجل خلق الإنسان

إن الوصف الدقيق لأطوار الأجنة في مراحلها المختلفة وهي لا تتعدى أجزاء من المليمتر إلى مليمترا قليلة في الطول في زمن لم تتوفر فيه أجهزة التصوير، يثبت بما لا يدع مجالاً للشك صدق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فما جاءت النصوص على ذكره من حقائق في علم الأجنة لم يستطع العلم أن يتوصل إليه إلا حديثاً بعد قرون من البحث العلمي الشاق<sup>4</sup>، وفيما يلي أبرز وجوه الإعجاز العلمي المتعلقة بأجل خلق الإنسان:

1. ما جاء ذكره في المطلب السابق في قضية تكوّن النطفة والعلقة والمضغة في الأربعين الأولى من الحمل، وأن نفخ الروح وخلق الجنين وتسويته يكون في عقبها، وتطابق ذلك مع ما توصلت إليه الدراسات في علم الأجنة؛ يعد من أبرز وجوه الإعجاز العلمي التي جاءت النصوص بذكرها.

<sup>1</sup> ينظر: الجرجاني، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل (371هـ): اعتقاد أئمة الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1412هـ)، ص77. ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية، ج1، ص127-128. الأشقر، عمر بن سليمان عبد الله: اليوم الآخر: القيامة الصغرى، (الأردن، الكويت: دار النفائس للنشر والتوزيع، مكتبة الفلاح، ط4، 1411هـ-1991م)، ص17.

<sup>2</sup> ينظر: القاضي عبد الجبار: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار (ت:415هـ): المغني في أبواب التوحيد والعدل: التكليف، تحقيق: محمد علي النجار، وعبد الحليم النجار، ج11، ص3-4.

<sup>3</sup> ينظر: ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية، ج1، ص128.

<sup>4</sup> ينظر: Moore: The developing human, p 458h. النجار، زغلول راغب محمد: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 1429هـ-2008م) ج3، ص204-206.

2. تشير النصوص إلى أن بداية خلق الإنسان كانت من تراب: ﴿فَاتَّأ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج:

5]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12]، وهذا الإعجاز يشمل خلق آدم

عليه السلام وكل ذريته إلى يوم الدين، فأصل الخلق كان من التراب، والطين أيضا في أصل تركيبه

من التراب والماء، فكل إنسان خلق من سلالة بشرية من أبائه وأجداده وأولها آدم عليه السلام وقد خلق

من الطين، والجنين في بطن أمه يعتمد في غذائه على دمائها، وغذائها مستمد أصلاً من عناصر

الأرض، وما ينمو عليه جسد الإنسان بعد ذلك من غذاء يستمد من تراب الأرض، فكل الأغذية

الحيوانية والنباتية تعتمد في مصدرها على الغذاء النباتي، والنبات من الطين، فكل إنسان خلق من

سلسلة أولها الطين، وهناك تشابه واضح بين التركيب الكيميائي للإنسان وتركيب تراب الأرض وطينها

مما يؤكد الصلة بينهما، والإنسان بعد وفاته يتحلل جسده ويتحول إلى سلالة من طين قبل أن يتحلل

في تراب الأرض<sup>1</sup>، والشيفرة الوراثية لكل فرد من ذرية آدم عليه السلام مستمدة منه فإذا رجعنا بانقسام

المخزون الوراثي (DNA) لجميع البشر إلى الوراء من الزمن فإن ذلك سينتهي إلى شفرة وراثية واحدة

كانت في صلب آدم عليه السلام عند خلقه<sup>2</sup>، وهذا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ

مَاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: 8]، السلالة تعني ما يستل من الشيء<sup>3</sup>، وهذا يشير أيضاً إلى الحقيقة

العلمية أن كل من البويضة والحيوانات المنوية يتم استخلاصها بلطف من بيئتها في عملية

الإخصاب، فالبويضة تستخرج في مجرى طويل من السائل الجريبي، وبالمثل يتم سحب حيوان منوي

واحد من بين الملايين من السائل المنوي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج12، ص480+ ج17، ص201. النجار: تفسير الآيات الكونية، ج2، ص157-158+ ج3، ص480-481. القضاة: متى تنفخ الروح في الجنين؟، ص27. القضاة: شرح الأربعين النووية، الحديث الرابع: ان أحكم يجمع خلقه، ص52.

<sup>2</sup> ينظر: النجار: تفسير الآيات الكونية، ج2، ص203-204+ ج3، ص480.

<sup>3</sup> ينظر: الرازي: مختار الصحاح، ص152.

<sup>4</sup> ينظر: Moore: The developing human, p 28a.

3. في تحديد بداية خلق الإنسان في رحم أمه، نجد قوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً"<sup>1</sup>، جمع الخلق هي كلمة معجزة وشاملة تشمل اجتماع الحيوانات المنوية مع البويضة، ولقاء كروموسومات الأم والأب عند الإخصاب، وظهور براعم جميع أجهزة الجسم وأنظمتها؛ وتظهر الأجهزة والأنظمة مجمعة في منطقة صغيرة في جنين طوله حوالي 1سم، ونجد الجنين ينحني حتى تكون أجزاؤه المختلفة أقرب إلى بعضها البعض، كل ذلك في الأربعين الأولى من الحمل<sup>2</sup>.
4. إن الوصف الدقيق لطور النطفة يعدّ سبقاً علمياً لم يتوصل إليه العلم إلا حديثاً، فالخلية الإنسانية الأولى (النطفة الأمشاج) تتكامل فيها الصبغيات المحددة لنوع الإنسان في 46 كروموسوماً نصفها الحيوان المنوي والنصف الآخر البويضة فكل من الأب والأم يساهمان في تكوين الجنين<sup>3</sup>، وهكذا دحض القرآن جميع النظريات القديمة لبدء خلق الإنسان في زمن كان يعتقد فيه أن الجنين يخلق كاملاً في صورة متقرّنة من دم الحيض أو ماء الرجل فقط<sup>4</sup>.
5. يشير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الحج: 5]، إلى حقيقة أن جزءاً صغيراً من هذه النطفة الأمشاج هو الذي يساهم فعلياً في تكوين الجنين، والجزء الأكبر منها يقوم بمهمة التغذية والوقاية<sup>5</sup>.
6. يشير التعبير ب(ثم) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج: 5]، إلى حقيقة أن هناك بضعة أيام بين مرحلتي النطفة والعلقة، وهي مسافة كبيرة في ميزان الخلق؛ إذ البون شاسع في الشكل والتركيب بين النطفة في جميع أحوالها وبين العلقة العالقة بجدار الرحم<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم: 3208، ج4، ص111. مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: 2643، ج4، ص2036.

<sup>2</sup> ينظر: Moore: The developing human, p 84a.

<sup>3</sup> ينظر: البار: خلق الانسان، ص188-189+197. النجار: تفسير الآيات الكونية، ج2، ص159-160. القضاة: شرح الأربعين النووية، الحديث الرابع: ان أحدكم يجمع خلقه، ص52-53.

<sup>4</sup> ينظر: Moore: The developing human, p 30a، النجار: تفسير الآيات الكونية، ج4، ص223.

<sup>5</sup> ينظر: Moore: The developing human, p 34a.

<sup>6</sup> ينظر: Moore: The developing human, p 56a، البار: خلق الإنسان، ص244-245.

7. في طور المضغة تتكون جميع بدايات أجهزة جسم الإنسان، وتبدأ براعم الأعضاء بالبروز على شكل نتوءات وكتل، وهي ما يسميه الأطباء مرحلة الكتل البدنية، وتشبه في وصفها بصمات الأسنان على مادة ممضوغة، وهذا هو سبب تسميتها بالمضغة وهو إعجاز لم يكشف عنه العلم إلا حديثاً<sup>1</sup>.

8. في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: 14]، إشارة إلى أن طور العظام يسبق اللحم، وأن خلق العظام يكون بعد طور المضغة، وهذا مما توصل إليه العلم حديثاً، إذ كان الظن السائد أن خلق اللحم يكون أولاً ثم تتشكل العظام في داخله<sup>2</sup>.

9. في طور النشأة ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: 14]، هذا يشير إلى نفخ الروح وهي آخر مراحل التخلق للجنين، إذ يأخذ فيها الشكل البشري<sup>3</sup>، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة: 9]، فينمو هذا الجنين ويكبر حتى يأتي أجل ولادته، قال الله: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: 5].

10. أظهرت التجارب العلمية أن الجنين الذي يقل عمره عن ستة أشهر نادراً ما ينجو إذا ولد، وإنما يصبح الجنين قادراً على الحياة خارج الرحم بعد مدة أقلها ستة أشهر، فيمكن أن يعيش بدعم خارجي، وهو ما أفاده الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِضْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233] ففرق المدة بينهما هي ستة أشهر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: Moore: The developing human, p 80a. النعيمي، ناطق محمد جواد: مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1412هـ-1991م)، ص50. البار: الوجيز في علم الأجنة القرآني، ص41. القضاة: شرح الأربعين النووية، الحديث الرابع: ان أحكم يجمع خلقه، ص53-54.

<sup>2</sup> ينظر: Moore: The developing human, p 86a. البار: خلق الإنسان، ص290، ص371-372. النجار: تفسير الآيات الكونية، ج3، ص207-208. ج2، ص219-220. القضاة: شرح الأربعين النووية، الحديث الرابع: ان أحكم يجمع خلقه، ص54.

<sup>3</sup> ينظر: القضاة: شرح الأربعين النووية، الحديث الرابع: ان أحكم يجمع خلقه، ص54.

<sup>4</sup> ينظر: Moore: The developing human, p 100a+ 100b+ 364a.

11. أثبتت الدراسات العلمية أن الموت من الجهة الوراثية مقدر من الخالق بمسببات داخلية وراثية تتحكم في العوامل الحياتية وتنظمها منذ التخلق حتى الموت<sup>1</sup>، وثبت أن الأجل مقدر ومبرمج داخل الخلايا الحية، ويعرف باسم (موت الخلايا المبرمج - Apoptosis) وهذه الخاصية لازمة لإزالة الأنسجة والخلايا التي أدت دورها، ويتم برمجتها في طور النطفة الأمشاج، وتظهر جلية في خلايا الجهاز المناعي، فعندما تهاجم هذه الخلايا مسببات الأمراض تقتلها وتموت معها موتاً مقدرًا، وكل خلية في جسم الإنسان لها أجل محدد في شفرتها الوراثية، فتقوم بعدد محدد من الانقسامات إلى أجل محدد، تبدأ بعده عمليات الهدم والاحتضار التي تنتهي بموت الخلية وهو ما يسمى بعدد الأجل<sup>2</sup>، كل ذلك أشار إليه قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْأَمْوَاتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة: 58-60].

إن كل ما ذكر يعكس بجلاء ووضوح إعجاز القرآن الكريم وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ويؤكد قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: 4]، مما يزيد القلب رسوخاً وإيماناً أن هذا كلام الله الحق، فتبارك الله أحسن الخالقين.

<sup>1</sup> الشريف: من علم الطب القرآني، ص 157-158.

<sup>2</sup> ينظر: النجار: تفسير الآيات الكونية، ج 4، ص 91-96. الحمصي، لميس: التمايز الخلوي والخلايا الجذعية والاستموات، (سوريا: دمشق، جامعة الشام الخاصة، كلية الطب البشري، 2011م)، ص 34-46.

## المبحث الثاني: أجل الأمم

في المبحث السابق كان الحديث عن أجل الإنسان وأن الله قضى عليه الموت في ساعة لا تتقدم ولا تتأخر، فكان ذلك الأجل للإنسان بوصفه الفردي، وقد جعل الله للناس أجلاً آخرًا بوصف وجودهم الاجتماعي، وهو ما عبر عنه القرآن بوصف الأمة، فجعل الله لكل أمة أجلاً تنتهي إليه، وهو ما سيأتي تفصيله في هذا المبحث.

### المطلب الأول: فناء الأمم بانقضاء أعمارها

جاء لفظ الأمة مقرونا بالأجل في أربعة مواضع قرآنية، وهي قول الله سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 34]، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: 49]، ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ﴾ [الحجر: 5]، ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ﴾ [المؤمنون: 43]، فكل أمة لها أجل انفرد الله سبحانه بعلم وقته، فإذا جاء أجل موتها فليس لها أن تتقدم عن حد الله ساعة أو تتأخر<sup>1</sup>.

وهذا الأجل الذي تناولته الآيات هو ما قدر لحياة الأمم المستقلة التي تزول وتنتهي حياتها بأسباب الفناء والزوال، فيكون ذلك بالاستعباد والإذلال، أو بهيمنة دولة على دولة أخرى، فنذوب فيها ذوبانا كاملاً<sup>2</sup>، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث لمشركي مكة المكرمة، قاتلهم المسلمون حتى زالت دولتهم بعد أن

<sup>1</sup> ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ج3، ص124.

<sup>2</sup> ينظر: رضا، محمد رشيد بن علي (1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م)، ج8، ص358.

كانوا أسياد الجزيرة العربية<sup>1</sup>، وكذلك ما حدث مع يهود المدينة، وكيف أنهى النبي صلى الله عليه وسلم وجودهم، ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "حاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومنّ عليهم، حتّى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلّا بعضهم لحقوا بالنبيّ صلى الله عليه وسلم فأمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلّهم: بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكلّ يهود المدينة"<sup>2</sup>، وكذلك زوال ملك قيصر وكسرى كما بشر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: "هلك كسرى ثمّ لا يكون كسرى بعده وقيصر ليهلكنّ ثمّ لا يكون قيصر بعده ولتقسمنّ كنوزها في سبيل الله"<sup>3</sup>، وقد حدث ذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فالروم زالت دولتهم من بلاد الشام في موقعة اليرموك<sup>4</sup>، والفرس هزموا وزالت دولتهم من العراق والبلدان حولها في معركة القادسية وما تبعها من فتوحات<sup>5</sup>.

وهذا النوع من الأجل مرتبط بسنن الله فما من أمة تقشى فيها الظلم والفواحش وعم فيها الفساد، إلا سلبها الله عزها وسلط عليها من يذلها ويسلب ملكها، قال تعالى: ﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 86]، وهذا الأجل وإن تبينت أسبابه وسننه فلا يمكن أن يحدد بالسنين والأيام، إنما علمه عند الله<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الأندونيسي، محمد صفوان مبرير: أسباب هلاك الأمم كما يصورها القرآن المكي: دراسة موضوعية في ضوء الكتاب والسنة المطهرة، (السودان: ام درمان، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 2004م)، ص10.

<sup>2</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، رقم: 4028، ج5، ص88. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إجماع اليهود من الحجاز، رقم: 1766، ج3، ص1387.

<sup>3</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، رقم: 3027، ج4، ص63.

<sup>4</sup> الواقي، محمد بن عمر بن واقد (207هـ): فتوح الشام، (دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ-1997م)، ج1، ص217-218.

<sup>5</sup> الدينوري، أحمد بن داود (282هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، 1960م)، (مصر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ص123-138.

<sup>6</sup> ينظر: رضا: تفسير المنار، ج8، ص358-359.

والأجيال أيضا بوصف وجودها الجماعي؛ تتأتي وتتعاقب جيلاً بعد جيل وتنفى بأجالها، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من نفس منفوسة اليوم، تأتي عليها مائة سنة، وهي حية يومئذ"<sup>1</sup>، أراد النبي صلى الله عليه وسلم الإخبار عن أعمار أمته؛ فلا توجد نفس مولودة تأتي عليها مئة سنة إلا وقد بلغت أجل موتها، وفيه تنبيه على قدرة الله في إهلاك العالمين، والإتيان بغيرهم أجيالاً متعاقبة، ومن كان هذا حاله فهو على بعثهم أقدر<sup>2</sup>، وفي الحديث أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رجال من الأعراب جفاةً يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه متى الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يعيش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم قال هشام يعني: موتهم"<sup>3</sup>، ومعناه قبل أن يبلغ هذا الصغير الهرم والكبر؛ يأتي عليكم الموت<sup>4</sup>، وأراد بذلك انقضاء القرن الذي هم من عداه، لذلك قال ساعتكم<sup>5</sup>، وهذا تحذير من أن الدنيا لا تبقى لساكنيها، وأن الموت يستأصل الناس أجيالاً متعاقبة، فلا يبقى منهم أحداً، فعليهم أن يشغلوا أنفسهم بالاستعداد للأخرة<sup>6</sup>.

### المطلب الثاني: هلاك الأمم باستحقاقها للعذاب

الهلاك يكون بعقوبة من الله تعالى على الأمم التي تستحقه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿١﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْزِرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: 4-5]، فلا يهلك الله الأمم إلا بعد أن يقيم الحجة عليها وينتهي أجلها<sup>7</sup>، ويكون هذا العذاب بالإبادة والاستئصال والهلاك التام، الذي تنفى

<sup>1</sup> مسلم: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب قوله صلى الله عليه وسلم: لا تأتي مائة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم، رقم: 2538، ج4، ص1966.

<sup>2</sup> ينظر: المظهري، الحسين بن محمود بن الحسن (727هـ): المفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق: نور الدين طالب وآخرون، (الكويت: دار النوادر، وزارة الأوقاف الكويتية، ط1، 1433هـ-2012م)، ج5، ص458.

<sup>3</sup> البخاري: صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم: 6511، ج8، ص107. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب قرب الساعة، رقم: 2952، ج4، ص2269.

<sup>4</sup> ينظر: المظهري: المفاتيح في شرح المصابيح، ج5، ص459.

<sup>5</sup> ينظر: الطيبي، الحسين بن محمد بن عبد الله (743هـ): الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد هندواي، (مكة المكرمة-الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1417هـ-1997م)، ج11، ص3482.

<sup>6</sup> ينظر: المظهري: المفاتيح في شرح المصابيح، ج5، ص459.

<sup>7</sup> ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص526.

به الأمة وتزول برمتها، فيه لك جميع أفرادها ولا يبقى منهم أحد، وهو أجل الأمم التي بعث الله لها الرسل لهدايتها، فردوا دعوتهم بالكبر والعناد والجحود<sup>1</sup>، فقد جرت سنة الله في الأمم السابقة أن يستأصلهم إذا هم رأوا الآيات التي كانوا يطلبونها، وكذبوا بها، وأصروا على كفرهم<sup>2</sup>، وكذلك من سنته أن يهلك الأمة الظالمة، بسبب ظلمها وبغيها على أنبيائها وجحودها، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: 59]، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: 59]، فهم بذلك استحقوا العذاب لظلمهم أنفسهم وكفرهم بالله، بعد أن أعذر الله إليهم، وأصروا على عنادهم ومكابرتهم<sup>3</sup>، فالله سبحانه لم يعاجلهم بعقوبة أو عذاب حتى أقام الحجة عليهم، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، فمن رحمته أنه لم يأخذهم على غرة، بل بعث إليهم من الرسل من يبلغهم آيات الله، وما يجب أن يكونوا عليه من العدل والحق والصلاح<sup>4</sup>، فينذرونهم ويخوفونهم من عقاب الله إن هم خالفوا أمره وشرعه، قال تعالى: ﴿إِنِ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: 13]، وهذا الاستئصال بالعذاب كان يهدف إلى فناء الأمم المكذبة بعد انعدام خيرها، كما حدث مع قوم نوح عليه السلام، قال الله سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 14]، فالله سبحانه أخذهم أخذ استئصال فلم يبق لهم نسلاً على وجه الأرض، وكان ذلك بالطوفان<sup>5</sup>، ومثاله أيضاً ما حدث مع أمة عاد، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: 66]، يعني أن الله سيستأصلهم بالهلاك مصبحين<sup>6</sup>، وكان هلاكهم بالريح العاتية، قال الله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6]، وكما حدث مع ثمود،

<sup>1</sup> ينظر: رضا: تفسير المنار، ج8، ص358+96.

<sup>2</sup> ينظر: الألوسي: روح المعاني، ج9، ص12.

<sup>3</sup> ينظر: النسفي: مدارك التنزيل، ج2، ص651.

<sup>4</sup> ينظر: رضا: تفسير المنار، ج8، ص95.

<sup>5</sup> ينظر: أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ج10، ص280.

<sup>6</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج17، ص117.

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّلَهَا ﴿١٤﴾﴾ [الشمس: 14]، يعني قضى عليهم بسبب تكذيبهم، وعقرهم الناقة فأهلكهم بعذاب الاستئصال، فلم يبق منهم أحداً<sup>1</sup>، وكان عذابهم بالصيحة، قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [هود: 67].

وعذاب الاستئصال والهالك العام قد رفع عن هذه الأمة، وقد يصيب هذه الأمة بعض ما أصاب من قبلها من عذاب وعقاب من غير أن يستأصلهم به<sup>2</sup>، فقد ورد في الصحيح دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامّة... وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامّة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم"<sup>3</sup>، فالله سبحانه استجاب دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم؛ أن لا يهلك أمته بعذاب يستأصلهم به، وهذا حاصل في جملة الأمة، فلا يلزم منه ثبوت ذلك لكل فرد<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: النسفي: مدارك التنزيل، ج3، ص649.

<sup>2</sup> ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحاراني (728هـ): الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، (السعودية: دار العاصمة، ط2، 1419هـ-1999م)، ج6، ص443. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (751هـ): مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج1، ص255. الألويسي: روح المعاني، ج9، ص12.

<sup>3</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم: 2889، ج4، ص2215.

<sup>4</sup> ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج14، ص150.

## المبحث الثالث: أجل الكون

خلق الله الكون لأجل مسمى ينتهي به إلى يوم القيامة، وأودع الله فيه من الدلائل والآيات ما يشير إلى عظمة الله ووجوده وقدرته على الخلق، وكل ما في الكون من شواهد يؤكد أن لهذا الكون أجلاً ينتهي إليه، وهذا ما سنتناول بيانه في هذا المبحث.

### المطلب الأول: أجل السماوات والأرض

عرض القرآن الكريم لقضية بداية الخلق، والنشأة الأولى للكون، ودعا إلى التفكير والتأمل في عظيم قدرة الله وإبداعه فيها، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 20]، فصور لنا في غير موضع من آياته الأطوار والمراحل التي مر فيها الخلق والتكوين للسماوات والأرض، فذكر ذلك على سبيل الإجمال في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54]، فكان خلقها في ستة أطوار ومراحل<sup>1</sup>، ذلك أن اليوم في القرآن قد يراد به اليوم بمفهومه العادي، أو يراد به الأجل الطويل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47]، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5]، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4]، ولما لم يبين الله سبحانه مقدار هذه الأيام، تبقى على مراد الله منها، مع التنبيه إلى أن العلماء اختلفوا في مقدارها على قولين: أنها كأيام الدنيا، أو كل يوم كألف سنة من أيامنا، أو هي أيام لها مقادير أخرى<sup>2</sup>، وأن الله سبحانه لو شاء لخلقها دفعة واحدة، ولكنه جعلها في ستة أيام لحكمة أرادها، قد تكون إرادة الله أن يعلم خلقه التآني والرفق في الأمور، أو أن خلق الكون على هذا الترتيب والإبداع أدل أنه من خالق مدبر

<sup>1</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج28، ص151.

<sup>2</sup> ينظر: السمرقندي: بحر العلوم، ج1، ص520. السمعاني: تفسير القرآن، ج2، ص366. الكرمانلي، محمود بن حمزة بن نصر (نحو 505هـ): غرائب التفسير وعجائب التأويل، (جدة -بيروت: دار القبلة للثقافة الإسلامية -مؤسسة علوم القرآن)، ج1، ص406. الزمخشري: الكشاف، ج3، ص288. ابن عطية: المحرر الوجيز، ج3، ص104.

عالم يصرف الأمور ويديرها عن حكمة وتقدير، أو أن فيه تنبيهاً للملائكة على عظم شأن آدم وذريته، أو أنه أراد أن يخلق في كل يوم منها ما يستعظمه المشاهد لها من خلقه، والله أعلى وأعلم<sup>1</sup>.

والله سبحانه فصل خلقه للسموات والأرض، في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]، والآية تشير إلى مرحلة الرتق والفتق، ومعنى كانتا رتقاً في الآية؛ أنهما كانتا كتلة واحدة<sup>2</sup>، وقوله ففتقناهما: أي فصلنا بينهما وفرقناهما عن بعضهما البعض<sup>3</sup>، ففي هذه المرحلة كانت السموات والأرض قطعة واحدة ففصل الله بينهما بقدرته.

وفي قوله: ﴿قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 22]، والآية تشير إلى أن الأرض خلقت في يومين، ثم جعل فيها خلق السموات والأرض بعد مرحلة الرتق والفتق، فالله سبحانه خلق الأرض في يومين، ثم خلق ما فيها من جبال وأقوات في يومين آخرين، ثم استوى إلى السماء وسواها في يومين آخرين ومجموع ذلك ستة أيام<sup>4</sup>، وفي قوله في أربعة أيام سواء إشارة إلى مدة خلق الأرض وما فيها، ودلالة أنها كانت كاملة بلا زيادة ولا نقصان<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الواحدي: التفسير البسيط، ج9، ص167-168.

<sup>2</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج18، ص430. السمعاني: تفسير القرآن، ج3، ص377. النيسابوري بيان الحق، محمود بن أبي الحسن بن الحسين (نحو 550هـ): إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1415هـ)، ج2، ص557.

<sup>3</sup> ينظر: الواحدي: التفسير البسيط، ج15، ص56. الشوكاني: فتح القدير، ج3، ص478. القنوجي، محمد صديق خان بن حسن (1307هـ): فتح البيان في مقاصد القرآن، وقدم له وراجعاه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (بيروت - صيدا: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ-1992م) ج8، ص322.

<sup>4</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج2، ص380.

<sup>5</sup> ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص188.

وفي قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ حَلَقًا أَمِ السَّمَاءُ بَدَّهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحَّهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: 27-30]، في الآيات إشارة إلى أن مرحلة دحي الأرض جاءت متأخرة عن خلقها وكان ذلك بعد خلق السماوات وتسويتها<sup>1</sup>، ومعنى دحاها أي بسطها ومهدها للسكن عليها، وفسر ذلك التمهيد بقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: 31-32]، فالمأكل والمشرب وتمهيد الأرض وإرساء الجبال وإخراج الماء والمرعى؛ لا يمكن القرار والسكن على الأرض إلا به<sup>2</sup>، فهذا الخلق وما فيه مسخر لخدمة الإنسان.

أما عن نهاية أجل السماء والأرض؛ فقد جاء ذكرها في مواضع متعددة من كتاب الله، تشير كلها إلى أن أجل السماوات والأرض ينتهي بها إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبُرُزُوقًا لِلَّهِ الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: 48]، ويحتمل أن ذات السماوات والأرض باقية؛ لكن يحصل التبديل في صفاتها؛ فتزول الجبال، وتفجر البحار، وتسوى الأرض، فلا يكون فيها عوج ولا أمت، وتبدل السماوات بانتثار نجومها، وانفطارها، وتشققها، فتكون تارة كالمهل، وتارة كالدهان، أو أن التبديل يحصل لذات السماوات والأرض فتبدل بسماوات وأرض غيرها<sup>3</sup>، وفي الحديث، قال عليه الصلاة والسلام: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي<sup>4</sup>، ليس فيها معلم لأحد<sup>5</sup>، أي أنها تسوى فلا يبقى فيها بناء ولا أثر لسكن<sup>6</sup>، أما عن وقت ذلك على وجه التحديد، فإن موعده يوم القيامة عندما

<sup>1</sup> ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن: سورة حم السجدة، ج6، ص128.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص697.

<sup>3</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج19، ص111-112.

<sup>4</sup> كقرصة النقي: كخبز الحواري؛ القرصة هي الخبز، والنقي: هو الحواري وسمي بذلك لنقائه من النخالة. ينظر: ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي (458هـ): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1417هـ-1996م)، ج1، ص435. الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (538هـ): الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد الجاوي وآخرون، (لبنان: دار المعرفة، ط2)، ج3، ص6.

<sup>5</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم: 2790، ج4، ص2150.

<sup>6</sup> ينظر: النووي: المنهاج، ج17، ص134.

يكون الناس على الصراط، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۗ﴾ [إبراهيم: 48]، فأين يكون الناس يومئذ؟  
يا رسول الله فقال: على الصراط"<sup>1</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۗ﴾ [الأنبياء: 104]، فيه أنه سبحانه يطوي السماء كما يطوي السجل على ما كتب فيه<sup>2</sup>، يقول صلى الله عليه وسلم: "يقبض الله الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض"<sup>3</sup>، وفي قوله: {كما بدأنا أول خلقٍ نعيده}، بيان أن السموات والأرض؛ تعود إلى ما كانت عليه إلى الغناء كما لم تكن من قبل<sup>4</sup>.

وفناء السموات والأرض جاء بأوصاف متعددة غير متناقضة، فهي أوصاف وأحوال لها في أوقات مختلفة<sup>5</sup>، فقد وصف الله حال فناء السماء تارة بقوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۗ﴾ [الطور: 9]، أي أنها تدور وتتحرك وتضطرب، وينقلب نظامها<sup>6</sup>، وقوله: ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَهِيَةٌ ۗ﴾ [الحاقة: 16]، أي أنها تكون متصدعة وضعيفة ومتخرقة كالصوف الواهي<sup>7</sup>، وقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۗ﴾ [الانفطار: 1]، أي أنها تتقطع وتتشقق<sup>8</sup>، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۗ﴾ [التكوير: 11]، أي أنها تلع

<sup>1</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم: 2791، ج4، ص2150.

<sup>2</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج18، ص544.

<sup>3</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن: سورة الزمر، باب قوله والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، رقم: 4812، ج6، ص126.

<sup>4</sup> ينظر: الواحدي: التفسير البسيط، ج15، ص225.

<sup>5</sup> ينظر: الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ج8، ص20-21.

<sup>6</sup> ينظر: الماوردي: النكت والعيون، ج5، ص379-380.

<sup>7</sup> ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص265.

<sup>8</sup> ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ): زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ)، ج2، ص13.

من مكانها وتتكشف وتتناثر نجومها<sup>1</sup>، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ [المرسلات:9]، أي شقت وفتحت<sup>2</sup>، وفي وصف الله حال فناء الأرض، قال: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝٤﴾ [الواقعة:4]، أي أنها ترجف وتضطرب وتهتز وتتحرك وتحركاً شديداً حتى ينهدم كل ما عليها<sup>3</sup>، وقال: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝١٤﴾ [المزمل: 14]، أي أن الأرض والجبال على قوتها ترجف وتتحرك خوفاً، وتصبح الجبال كالرمل الذي يسيل ويتحرك يتبع بعضه بعضاً<sup>4</sup>، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ [الانشقاق: 3]، أنها تمد ويزاد في سعتها، وتسوى فلا يبقى فيها جبل ولا بناء<sup>5</sup>، وفي قوله: ﴿كَلَّا ۚ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝١١﴾ [الفجر: 21]، أي أنها تدق وتكسر وتنقتت، وتصير كالتراب<sup>6</sup>، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة: 1]، أي أنها تتحرك حركة شديدة؛ تبلغ غايتها في الشدة وتعم جميع الأرض<sup>7</sup>، فهذه الآيات تبين الحالة الشديدة التي تمر بها السماوات والأرض يوم القيامة من الضعف، بين الزلزلة، والاضطراب، والانشقاق، والدك، والرجف، حتى كأن لسان حالها مشفق من هول ذلك اليوم، فإذا كان هذا حال السماوات والأرض على عظم خلقها وقوتها فكيف بحال الإنسان الضعيف، سلمنا الله جميعاً.

### المطلب الثاني: أجل الشمس والقمر

الشمس والقمر من آيات الله العجيبة الدالة على عظيم قدرته، وقد سخرها الله لخدمة الإنسان، وجعل لها أجلاً تنتهي إليه، وأجلها مرتبط بأجل الدنيا وانتهائها، وكانت بداية خلق الشمس والقمر في طور خلق السماوات، لقوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّتْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

<sup>1</sup> ينظر: الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ج10، ص432.

<sup>2</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج30، ص768.

<sup>3</sup> ينظر: الثعلبي: الكشف والبيان، ج9، ص200.

<sup>4</sup> ينظر: مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان بن بشير (150هـ): تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ)، ج4، ص477.

<sup>5</sup> ينظر: الواحدي: التفسير البسيط، ج23، ص354-355.

<sup>6</sup> ينظر: مكي بن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية، ج4، ص2539.

<sup>7</sup> ينظر: الماوردي: النكت والعيون، ج6، ص318.

بِمَصْرِيحٍ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: 12]، أي أنه سبحانه أتم خلق السماوات في يومين ومن ذلك خلق ما فيها من شمسها وقمرها ونجومها<sup>1</sup>، وجاءت آيات تسخير الشمس والقمر مقرونة بجريها إلى أجل مسمى، أو لأجل مسمى في أربعة مواضع قرآنية: قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [القمان: 29]، وقال: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: 2]، [فاطر: 13]، [الزمر: 5]، ومن مظاهر هذا التسخير للشمس والقمر، أنهما مصدر للضياء والنور في النهار والليل، وبهما يعرف عدد السنين وتحسب المواقيت، قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: 5]، ومن ذلك أيضاً أن الشمس مصدر للحرارة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ [النبا: 13]، وهي الشمس المتوهجة بضوئها وحرها<sup>2</sup>، ومن مظاهر هذا التسخير أيضاً جريان الشمس والقمر لأجل مسمى، وذلك أن كل منهما يجري في فلكه، ويقطعه إلى منتهى معلوم لا يجاوزه؛ الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر<sup>3</sup>، فإله سبحانه قدر لكل منهما سيراً خاصاً، لجهة ومنازل خاصة، وبمقدار خاص<sup>4</sup>، وهذا الجريان الدقيق تتم به منافع العباد، ويتحقق به تقدير الأجال بين الناس<sup>5</sup>، ويشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: 38]، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: 39]، ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: 5]، أي أن كل منهما يجري بحساب دقيق معلوم ومقدر في منازلهما، ينتج عنه اختلاف الفصول، والأوقات، والليل

<sup>1</sup> ينظر: الثعلبي: الكشف والبيان، ج8، ص288.

<sup>2</sup> ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج4، ص686.

<sup>3</sup> ينظر: الزمخشري: الكشاف، ج3، ص502. البيضاوي: أنوار التنزيل، ج4، ص217. النعيمي: الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، ص73+74.

<sup>4</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج18، ص526.

<sup>5</sup> ينظر: الماوردي: النكت والعيون، ج4، ص346.

والنهار، ويعلم به السنين والحساب<sup>1</sup>، ونهاية هذا الأجل فناء الدنيا وقيام الساعة فعندها ينقطع جريها، وتتعطل أفلاكها<sup>2</sup>.

وبين يدي الساعة تحصل تغيرات في الشمس تنذر بقرب فناء الدنيا، ومن ذلك طلوع الشمس من مغربها، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها"<sup>3</sup>، كما أن الشمس تدنو من رؤوس الخلائق يوم القيامة، لقوله صلى الله عليه وسلم: "تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل، قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين"<sup>4</sup>.

أما عن فناء الشمس والقمر فقد جاء وصف حالها في غير موضع من كتاب الله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1]، أي أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض وتلف ويرمى بها، وعندها يذهب ضوءهما<sup>5</sup>، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة: 8]، أي أنه يظلم ويذهب جميع نوره وضوءه بلا عودة<sup>6</sup>. وقوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: 9]، أي أنهما يجتمعان يوم القيامة ذلك أن الله قال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [يس: 40]، فإذا جاء ذلك اليوم أدرك كل منهما صاحبه واجتمعا فلم يفترقا، أو أنه يجمع بينهما في طلوعهما من المغرب مظلمين مكورين، أو أنه يجمع

<sup>1</sup> ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ج5، ص170.

<sup>2</sup> ينظر: مكي بن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية، ج5، ص3664-3665.

<sup>3</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن سورة الأنعام، باب لا ينفع نفسا إيمانها، رقم: 4635، ج6، ص58. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم: 157، ج1، ص137.

<sup>4</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها، رقم: 2864، ج4، ص2196.

<sup>5</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج24، ص238.

<sup>6</sup> ينظر: البغوي، معالم التنزيل، ج8، ص282. الشوكاني: فتح القدير، ج5، ص405.

بينهما بذهاب ضوءهما<sup>1</sup>، وعنه صلى الله عليه وسلم قال: "الشمس والقمر مكوران يوم القيامة"<sup>2</sup>، أي أنهما يلفان ويجمعان ويذهب ضوءهما<sup>3</sup>، فسبحان من أخضع كل شيء لعظمته فذل.

### المطلب الثالث: ما ورد في التفسير العلمي في تحديد أجل الكون

رغم التقدم العلمي وما وصل إليه الإنسان من إمكانيات فإن فهمه يبقى عاجزاً عن أن يحيط بما في هذا الكون الفسيح والخلق العظيم من علوم وإعجاز، ويأبى الله إلا أن يري الإنسان على مدى الأزمان، من آياته في خلقه ما يشهد له بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، قال الله تعالى: ﴿سُرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53]، إن الحقائق الكونية الكبرى التي أشار إليها القرآن، لم يتوصل إليها الإنسان إلا في منتصف القرن العشرين وما بعده، حين توصل العلماء إلى نظرية الانفجار العظيم، وغيرها من الدراسات، التي تؤكد أن هذا الكون له بداية، وأن الأجرام السماوية في حركة وجري مستمر، والسماء في توسع دائم إلى أجل مسمى، وأن هذا الكون سيטوى ويفنى كما بدأه الله من العدم<sup>4</sup>.

إن النظرة العلمية لبدايات تشكل الكون تطابق ما جاء به القرآن الكريم؛ من أن هناك أطواراً لخلق السماوات والأرض، فيرى العلم أن بدايات تشكل الكون تم في مرحلتين على امتداد زمني طويل، فقد تكوّن من طبقة غازية من الهيدروجين والهيليوم، وكانت في دوران، ثم حصل انفجار كوني كبير انقسم به الكون إلى أجزاء تكونت منها السماء والأرض والأجرام السماوية كالشمس والقمر، وهذا يفسر معنى أن السماوات والأرض

<sup>1</sup> ينظر: الماوردي: النكت والعيون، ج6، ص153. الرازي: مفاتيح الغيب، ج30، ص724.

<sup>2</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر {بحسبان}، رقم:3200، ج4، ص108.

<sup>3</sup> ينظر: العيني: عمدة القاري، ج15، ص120.

<sup>4</sup> ينظر: النجار: تفسير الآيات الكونية، ج2، ص112-115.

كانتا رتقاً لفصل الله بينهما، وأن الدخان كان موجوداً في بدايات تشكل الكون<sup>1</sup>، ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ  
أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: 11]، إشارة إلى الحقيقة العلمية أن الكون نشأ من غاز مظلم  
ساخن شديد التخلخل، يتكون من دقائق أنواع المواد المختلفة، وكان يملأ الفضاء، وهذا ما يفسر معنى  
الدخان في الآية، فالسمااء خلقت من المادة الأولية الدخانية<sup>2</sup>.

وتشير نتائج التحاليل الكيميائية لصخور القمر والنيازك؛ أن السماوات والأرض تتكونان من العناصر  
نفسها<sup>3</sup>، وهو ما يصدق قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا  
فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30]، ويشير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47]،  
إلى حقيقة أن الكون في بداياته كانت أجرامه السماوية متقاربة بعضها إلى بعض، ثم أخذت بالتمدد  
والإتساع، وهذا ما يعرفه العلماء بقانون هابل؛ الذي يعني أن المجرات والأجرام السماوية تبتعد عنا بالسرعة  
نفسها في جميع الإتجاهات، وهذا مقيد بالأبعاد فيما بينها وليس بالحجم والكتلة التي لها، والكون لا يملك  
مركزاً ثابتاً، فمن يرصد هذه الفرضية في أي مكان في الكون سيلاحظ الظاهرة نفسها التي تثبت أن التمدد  
والإتساع قائم، وأنه سيستمر إلى أن يصل الكون إلى مرحلته النهائية، حتى يفنى، أي أن الكون في اتساعه  
خلال عمليات الزحزحة نحو الأحمر كما يسميها العلماء؛ سيستمر في فقدان الطاقة بإشعاعاته، وجميع  
المادة الكونية في مراحلها الأخيرة من التطور ستصل إلى مرحلة عدم إنتقال الحرارة، كما يحدث في الثقوب  
السوداء، وسيسكن الكون ويفنى<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: بوكاي، موريس: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: خالد حسن، (بيروت - دمشق: المكتب الإسلامي، ط3، 1411هـ-  
1990م)، ص178-182. حسب النبي، منصور محمد: الكون والإعجاز العلمي للقرآن، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط2، 1991م)،  
ص304-314.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد: التفسير العلمي للآيات الكونية، ص223-224.

<sup>3</sup> ينظر: حسب النبي: الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، ص77.

<sup>4</sup> ينظر: النعيمي: الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، ص86-89.

وفي قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5]، "الضوء: ما كان من ذات الشيء المضيء، والنور: ما كان مستفاداً من غيره"<sup>1</sup>، فالقرآن وصف الشمس والقمر وصفاً علمياً دقيقاً لم يكن معروفاً في زمن التنزيل، فالشمس سماها ضياءً لأنها تضيء بنفسها والقمر سماها نوراً لأنه يكسب الضوء من غيره ويعكسه نوراً، وكذلك فعل العلم، فهو يسمي ما يضيء بنفسه ضوءاً ذاتياً، وما يضيء بغيره ضوءاً معكوساً<sup>2</sup>، والشمس هي كتلة من الغاز الملتهب تتكون من الأشعة البيضاء المرئية وغيرها من الأشعة غير المرئية، بينما القمر هو جرم سماوي معتم وبارد، ولا يعكس من الأشعة الساقطة عليه من الشمس إلا أقلها، فلا يعكس إلا الأشعة البيضاء المرئية التي تعرف بالنور<sup>3</sup>.

وفي آيات تسخير الشمس والقمر إلى أجل مسمى جاء الحديث عن نظام تولد الليل والنهار، ووصفت ذلك بالإيلاج تارة كما في قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: 29]، وقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: 13]، وتارة وصف ذلك بالتكوير، كما في قوله تعالى: ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: 5]، والتكوير يعني: ضم الشيء بعضه إلى بعض على نحو مستدير كما تكور العمامة<sup>4</sup>، والإيلاج لغة: الإدخال<sup>5</sup>، وهذا فيه إشارة إلى قضية خلق الكواكب وتوابعها على نحو مستدير؛ بسبب تأثير التجاذب بين أجزاءها، وأن كل منها له مسار مستدير، فهي تلف حول نفسها أمام مصادر الضياء، فيتعاقب عليها الليل والنهار فيكون نصف سطحها في نهار، والآخر فيه

<sup>1</sup> أبو هلال العسكري: معجم الفروق اللغوية، ص332.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد، حنفي: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، (مصر: القاهرة، دار المعارف)، ص161.

<sup>3</sup> ينظر: السعدي، داود سلمان: أسرار الكون في القرآن، (لبنان: بيروت، دار الحرف العربي، ط1، 1417هـ-1997م)، ص86-87.

<sup>4</sup> ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص729.

<sup>5</sup> ينظر: ابن فارس: مجمل اللغة، ص937.

ليل<sup>1</sup>. فيكون معنى الآية العلمي مطابق لمعناها اللغوي فالتكوير يتطلب لف الشيء على شيء آخر، فالله سبحانه يكور في اتجاه مستدير ظلمة الليل على مكان النهار في الأرض فتصير ليلاً، ويكور في اتجاه مستدير أيضاً ضياء النهار على مكان الليل في الأرض فيصير نهاراً، وفي معنى الإيلاج أنه يجعل مكان الليل في الأرض يدخل في مكان النهار فيصير نهاراً ويجعل مكان الليل يدخل في مكان النهار فيصير ليلاً، فيحصل التبادل بينها باعتبار المكان المواجه لأشعة الشمس<sup>2</sup>.

ويصف القرآن الكريم حركة الأجرام الفلكية تارة بالسبح، كما في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33]، وتارة بالجري، كما في قول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [القمان: 29]، والسبح اقترن بمرحلة خلق الشمس والقمر، والجري اقترن بمرحلة تسخير الشمس والقمر، والسبح في الاستعمال القرآني: هو الجري السريع للجسم السابح؛ بحركة ذاتية فيه، ويعبر في القرآن عن حركة الأجرام في أفلاكها، أما الجري في استعمال القرآن فهو الانتقال السريع للجسم بدون حركة ذاتية فيه، والسبح علمياً يشير إلى حقيقة دوران الأجرام السماوية حول نفسها، وهي حركة ذاتية، لازمت الشمس والقمر منذ مرحلة خلقهما، ومثالها: حركة الشمس والقمر والأرض حول نفسها، وعلاوة على هذه الحركة فإن كلاً منها يجري في الفضاء وفق حركة فلكية، وجاذبية كونية تحكم هذه الأجرام؛ فهي تجري وتدور في أفلاك ثابتة بعضها حول بعض، وتتحرك بحركة مشتركة حول محور المجرة، فكل من الشمس والقمر يجري مع الأرض في الفضاء كمجموعة متلازمة، وبسرعة مشتركة إلى أجل مسمى، وفلك القمر ثابت بالنسبة للأرض، وهو بذلك ملازم ومساوي لسرعة جريها، والسرعة المشتركة بينهما لا تزيد عن سرعة جري الشمس، وكذلك الشمس لا تزيد في سرعة جريها عن السرعة المشتركة في الجري للأرض والقمر، وكأن تسخير هذا الجري هو ما جاء في قوله تعالى

<sup>1</sup> ينظر: أحمد: التفسير العلمي للآيات الكونية، ص304-305.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد: التفسير العلمي للآيات الكونية، ص278-280.

حكاية عن السماء والأرض: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11]<sup>1</sup>، أما عن اقتزان الجري إلى أجل مسمى بطور التسخير، ففيه أن تسخير كل من الشمس والقمر يستلزم أن يكون على نحو ثابت محدد وبميزان دقيق، فهو محكوم بالجريان لغاية معلومة، ووقت معلوم، وبحساب موزون؛ حتى ينتهي أجل ذلك التسخير بالفناء.

أما عن الأحداث التي تتعلق بيوم القيامة وما يحدث فيه من تغيرات كونية، فإن العلم يعترف بإمكانية حدوثها ولا ينكرها، ففي آيات تسخير الشمس والقمر وجريانها إلى أجل مسمى، أثبت القرآن أن لها وصفاً تطورياً، فوصف جريانها بأنه إلى أجل مسمى، ومعطيات العلم المعاصرة تسمح بالتنبؤ أن نظام الكون بعد مليارات من السنين؛ لن يبقى كما هو اليوم، وسيصل إلى مرحلة الفناء<sup>2</sup>، ومثال ذلك الشمس، فإن العلماء يؤكدون أنها في طريقها إلى الشيخوخة والفناء، فهي تحترق بتدرج واضح، وتفقد من عمرها في كل ثانية على هيئة الطاقة ما يعادل 4.6 مليون طن من كتلتها، وأنها ستتحول لعملاق أحمر وستبتلع القمر كما في قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: 9]<sup>3</sup>، وأنها ستهاجم الأرض بحرارتها العالية، ثم تتحول بعدها إلى قزم أبيض حتى تموت نهائياً وتفنى<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: أحمد: التفسير العلمي للآيات الكونية، ص 306-310. حسب النبي: الكون والإعجاز العلمي للقرآن، ص 382-385. حسب النبي، منصور محمد: الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات: القمر عداد السنين والنيازك رجوم الشياطين، (القاهرة: دار الفكر العربي)، ج 15، ص 12-13.

<sup>2</sup> ينظر: بوكاي، موريس: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص 200-201. حسب النبي: الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، ص 115-116.

<sup>3</sup> ينظر: النجار، زغلزل راغب محمد: من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، (لبنان - بيروت: دار المعرفة، ط 4، 1428هـ-2007م)، ص 586-588. حسب النبي: الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات: النجوم شموس الكون، ج 13، ص 25-26.

## المبحث الرابع: أجل الآخرة

الحياة الآخرة، هي طور من الحياة الخالدة يعيشه الإنسان بعد قيام الساعة<sup>1</sup>؛ وهذا المبحث يتناول الحديث عن الأجل المتعلقة بالدار الآخرة؛ ابتداءً من فناء الدنيا وقيام الساعة، مروراً بالحساب، وانتهاءً بالحديث عن أجل النعيم في الجنة والعذاب في النار.

### المطلب الأول: أجل فناء الدنيا وقيام الساعة

هذا الأجل من الأجل التي اختص الله بعلمها، فلا سبيل لأحد إلى أن يعلم متى تقوم الساعة، أو أن يعلم ما تبقى من أجل هذه الدنيا، قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [فصلت: 47]، وقال سبحانه:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَّا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَّا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ [الأعراف: 187]، ففي الآية دلالة على أن الله عنده علم الساعة، وأنها تأتي بغتة، ولا يكشف

عنها في وقتها غيره، فليس لأحد حتى لو كان نبياً مرسلأً أو ملكاً مقرباً؛ أن يكشف عن سرها، وفي حديث

جبريل عليه السلام أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فأجابه: "ما المسؤول عنها بأعلم من

السائل"<sup>2</sup>، وجل ما ذكر عن قيام الساعة؛ هو الحديث عن أماراتها وعلاماتها، والحديث عن أهوالها

والتغيرات الكونية الكبرى التي تحدث في وقتها، والدعوة إلى الانشغال بالاستعداد لها، وما ذكر من أنها

تقوم في يوم الجمعة، فعن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة"<sup>3</sup>، وما

بقي من أجل الدنيا قليل إذا قورن بما مضى منها؛ ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما

<sup>1</sup> ينظر: جبر، محمد أمين: الإنسان ويوم الحساب، (القاهرة - بيروت: مطابع الشروق)، ص20.

<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، رقم:8، ج1، ص37.

<sup>3</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، رقم: 854، ج2، ص585.

أجلكم في أجل من خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس<sup>1</sup>، وهذا فيه إشارة إلى قرب قيام الساعة

وفناء الدنيا<sup>2</sup>، فالحديث يمثل لوجود الإنسان على الأرض بيوم من أيام الدنيا، وما تبقى من هذا اليوم هو ما بين العصر إلى المغرب، وهو عمر أمة الإسلام آخر الأمم وجوداً، ونهايتها تتحقق بقيام الساعة وفناء الدنيا<sup>3</sup>.

ومن علامات الساعة التي مضت وانقضت، بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال: "بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين، وقرن بين السبابة والوسطى"<sup>4</sup>، ومنها أيضاً خروج نار من أرض الحجاز، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى"<sup>5</sup>، وقد خرجت كما وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم، في سنة 654هـ، وكانت في جنب المدينة الشرقي وراء الحرة؛ وكانت ناراً عظيمة تحدثت عنها جميع البلدان<sup>7</sup>.

ومن علامات الساعة الكبرى التي لم تقع بعد، والتي تكون بين يدي الساعة، الدخان، وفتنة المسيح الدجال، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وغيرها، فقد جاء في الحديث عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: "اطّلع النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنّها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات -فنذكر- الدخان،

<sup>1</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام، رقم: 5021، ج6، ص191.

<sup>2</sup> ينظر: ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد (723-804هـ): التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، (سوريا: دمشق، دار النوادر، ط1، 1429هـ-2008م)، ج6، ص207.

<sup>3</sup> ينظر: الأشقر: القيامة الصغرى، ص116

<sup>4</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، رقم: 5301، ج7، ص53. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب قرب الساعة، رقم: 2950، ج4، ص2268.

<sup>5</sup> بصرى: هي مدينة حوران في الشام، ينظر: أبو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (487هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1403هـ)، ج1، ص253.

<sup>6</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار، رقم: 7118، ج9، ص58. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، رقم: 2902، ج4، ص2227.

<sup>7</sup> ينظر: النووي: المنهاج، ج18، ص28.

والدَّجَال، والدَّابَّة، وظلوع الشَّمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلّم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد النَّاس إلى محشرهم"<sup>1</sup>، وظهور هذه الآيات متقارب بعضه من بعض، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَوَّلَ الآياتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، وَآيَهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْآخِرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا"<sup>2</sup>، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يفصل الحديث عن هذه العلامات ويبين لصحابته منهج التعامل معها، ومن ذلك حديثه عن فتنة المسيح الدجال، وتوضيحه لأجل مكثه في الأرض، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "غير الدَّجَالِ أَخُوفِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فامرؤٌ حَاجِبُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابَ قَطَطٍ، عَيْنُهُ طَافِقَةٌ، كَأَنِّي أَشَبَّهُهُ بَعْدَ الْعَزَى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَلَّةٌ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَانْتَبِهُوا قَلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبِثَهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمَ كَسَنَةِ، وَيَوْمَ كَشْهَرٍ، وَيَوْمَ كَجَمْعَةٍ، وَسَائِرَ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قَلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَسَنَةِ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ؟ قَالَ: لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ"<sup>3</sup>، فبين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم، أوصاف المسيح الدجال، وكيف يفعل من يدركه، وبين أن زمن فتنة المسيح الدجال سيصاحبه تغيرات كونية، يتباطئ فيها الزمان، إذ يمكث في الأرض أربعين يومًا؛ فيكون مدة أول يوم منها سنة كاملة، والثاني شهر كامل، والثالث أسبوع كامل، وبين أنه لا تكفي في هذه الأيام صلاة يوم واحد، إنما يقدر لكل يوم منها قدره، فالיום الذي كسنة يصلى فيه صلاة سنة كاملة بطريقة التقدير، وهكذا.

ثم إذا تكامل وقوع أشرطة الساعة جميعها؛ جاء اليوم الموعود؛ الذي ينتهي عنده أجل الدنيا بما فيها، وينهار نظام الكون، ليبدأ بعدها طور جديد من الخلق والتكوين، ويحصل التبديل للسموات والأرض، ويمتد

<sup>1</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرطة الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم: 2901، ج4، ص2225.

<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرطة الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور، رقم: 2941، ج4، ص2260.

<sup>3</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرطة الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم: 2937، ج4، ص2250.

هذا اليوم إلى النفخ في الصور وحشر الأجساد وإعادة أرواحها إليها<sup>1</sup>؛ قال الله سبحانه: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ

فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِّخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ

﴿الزمر: 68﴾، وما بين نفختي الصعق والبعث أربعون على الإجمال؛ لأن الراوي لم يجزم كم هي<sup>2</sup>؛

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة

أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، ثم ينزل الله من

السماء ماءً فينبتون، كما ينبت البقل قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبل، إلا عظماً واحداً، وهو عجب

الذنب<sup>3</sup>، ومنه يركب الخلق يوم القيامة<sup>4</sup>، وعند نهاية الأربعين تنفخ النفخة الثانية؛ فيبعث الناس أحياءً

ينبتون من عجب الذنب كما ينبت البقل، ويحشر الخلائق جميعهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَأَمَّ

نُعَادِرٌ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٥٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف: 47-48]،

فيجمعهم الله في أرض المحشر في يوم شديد الحرارة، وموقف مهيب تشيب له الرؤوس كما خلقهم أول

مرة، فعنه صلى الله عليه وسلم قال: "يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً<sup>5</sup>"، يتصبب منهم العرق كل

على حسب عمله؛ "فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من

يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه<sup>7</sup>، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً<sup>8</sup>"، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ

<sup>1</sup> ينظر: البوطي، محمد سعيد رمضان: كبرى اليقينيات الكونية: وجود الخالق ووظيفة المخلوق، (لبنان: بيروت، سوريا: دمشق، دار الفكر المعاصر، ط1: 1969م، إعادة تصوير عن ط8: 1982م، 1997م)، ص338.

<sup>2</sup> ينظر: النووي: المنهاج، ج18، ص91.

<sup>3</sup> عجب الذنب: هو عظمة صغيرة مثل حبة الخردل لا تبلى، مكانها عند رأس العصعص في أصل الصلب، ومحلها كمثل الذنب من نوات الأربع. ينظر: أبو البقاء: الكليات، ص658.

<sup>4</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الزمر: باب قوله: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، رقم: 4814، ج6، ص126. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأثر الساعة، باب ما بين النفختين، رقم: 2955، ج4، ص2270.

<sup>5</sup> معنى غرلاً: قلفاً، والأقلف هو من لم يختن. ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج30، ص87+ ج24، ص282.

<sup>6</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: 2859، ج4، ص2194.

<sup>7</sup> معنى حقويه: موضع الخاصرتان، والحقو: هو معقد الإزار من الجنب. ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج5، ص81.

<sup>8</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها، رقم: 2864، ج4، ص2196.

يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ [عبس: 37]، وحال الكافرين في ذلك اليوم عسيب وفي ندم شديد، قال تعالى:

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان: 26-27]، ووجوه مسودة مظلمة يعلوها الغبار، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٣﴾﴾ [طه: 102]، ﴿وَوُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٥﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤٦﴾﴾ [عبس: 40-41]، وحال المؤمنين في ذلك اليوم: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأنبياء: 103]، ويعلو وجوه الحبور والسرور؛ ﴿وَوُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس: 38-39]، اللهم اجعلنا منهم.

#### المطلب الثاني: أجل بدء الحساب

في يوم القيامة يطول وقوف الناس في أرض المحشر؛ "في يوم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد"<sup>1</sup>، ويأذن الله ببدء الحساب، فيأتي الناس للأنبياء حتى ينتهوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، صاحب المقام المحمود والشفاعة العظمى، يسألونه أن يشفع لهم عند الله ليريحهم من كرب الموقف، وهول المحشر؛ ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا سيّد النَّاسِ يوم القيامة، وهل تدرون بم ذلك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الدّاعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تتظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ... اذهبوا إلى محمّد، فيأتوني ... فأنتقل، فأتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله عليّ

<sup>1</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب اثم مانع الزكاة، رقم: 987، ج2، ص680.

ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع"1، وفي رواية: "فيا تون محمداً صلى الله عليه وسلم، فيقوم فيؤذن له"2.

لقد سمى الحق سبحانه يوم القيامة بمسميات عدة منها يوم الحساب؛ قال الله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: 53]، ذلك أن الله جمع الخلق، ليسألهم ويحاسبهم على أعمالهم صغيرها وكبيرها، قال سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ] [الغاشية: 25-26]، وإن من تمام عدل الله أن يوفى كل عامل بما عمل، ويجزى كل امرء بما قدم؛ فيعرض العباد على الله، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: 18]، وحينها تتطاير الصحف فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه ومنهم من يؤتاه بشماله3، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا] [الانشقاق: 7-8]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا] [الانشقاق: 10-11]، ويقال لكل إنسان حينها، ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 14]، فدللت الآيات على أن الحساب يكون عند إيتاء الكتب4، فالفاء في (فسوف) تدل على الترتيب والتعقيب، ثم يقضى الله بين العباد فيكون أول ما يقضى بين الناس في الدماء5، ويعرض العباد على الله للسؤال، فعن الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق

1 البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة بني إسرائيل، باب {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا}، رقم: 4712، ج6، ص84. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم: 194، ج1، ص184.

2 مسلم: صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم: 195، ج1، ص187.

3 ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن: سورة اذا السماء انشقت، باب فسوف يحاسب حسابا يسيرا، ج6، ص167.

4 ينظر: القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (671هـ): التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط1، 1425هـ)، ص619.

5 البخاري: صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم}، رقم: 6864، ج9، ص2-3. مسلم: صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب المجازاة بالدماء في الآخرة، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، رقم: 1678، ج3، ص1304.

تمرة<sup>1</sup>، وفي رواية أن الله يناجي عبده المؤمن ويضع عليه كنفه<sup>2</sup>، قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يَدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيُضَعُّ عَلَيْهِ كَنْفَهُ وَيَسْتَرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَكَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَكَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 18]<sup>3</sup>، وينقضى العرض والحساب بنصب الموازين؛ لإظهار مقادير الأعمال ليكون الجزاء عليها<sup>4</sup>، قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47]، فتوزن أعمال العباد، ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٣٢] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 102-103]، أما عن طول مدة الحساب؛ فقد وصف الله نفسه في غير موضع تعظيماً وتجبلاً بأنه سريع الحساب، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: 62]، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 17]، فموازين الله وقضاؤه ليس كقضاء البشر، فما خلقنا في الدنيا ولا بعثنا إلا كنفس واحدة، قال سبحانه: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعَشْرِكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: 28]، فمن كان هذا حاله في القدرة بأمر كن فيكون؛ فهو سريع الحساب بغير كلفة ولا مؤونة، فلا يخفى عليه شيء ولا يشغله شيء، وعلمه أحاط بكل شيء، فلا يحتاج سبحانه لطول وقت في الحساب ولا لفكر<sup>5</sup>، وهو قادر على

<sup>1</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، رقم: 1016، ج2، ص703.

<sup>2</sup> معنى كنفه: ستره ورحمته. ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ج10، ص152.

<sup>3</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى {ألا لعنة الله على الظالمين}، رقم: 2441. ج3، ص128. مسلم: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم: 2768، ج4، ص2120.

<sup>4</sup> ينظر: القرطبي: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص715. ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية، ج2، ص609.

<sup>5</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج4، ص207. ج6، ص279، ج21، ص367. الواحدي: التفسير البسيط، ج4، ص65-66.

تَعْجِيلُ مَا عَجَزَ عَنْهُ خَلْقُهُ<sup>1</sup>، فلا ينتصف نهار ذلك اليوم حتى يفرغ الله من حساب الخلق والقضاء بينهم، ويقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار؛ لقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: 24]، ذلك أن المقييل هو موضع القيلولة أو النوم نصف النهار<sup>2</sup>، ومعنى الآية أنه يفرغ من حسابهم في مقدار القيلولة إلى نصف النهار، حتى يسكنوا في الجنة<sup>3</sup>.

ويوم الحساب ينادى بين العباد: "من كان يعبد شيئاً فليتبّع، فمنهم من يتبع الشّمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطّواغيت، وتبقى هذه الأُمَّة... فيدعوهم فيضرب الصّراط بين ظهراي جهنّم، فأكون أوّل من يجوز من الرّسل بأمته، ولا يتكلّم يومئذ أحد إلّا الرّسل، وكلام الرّسل يومئذ: اللّهم سلّم سلّم، وفي جهنّم كالليب<sup>4</sup>،... غير أنّه لا يعلم قدر عظمها إلّا الله، تخطف النّاس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله<sup>5</sup>، ومنهم من يخرذل<sup>6</sup> ثمّ ينجو... ثمّ يفرغ الله من القضاء بين العباد"<sup>7</sup>، وفي رواية: "فيمرّ المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطّير، وكأجاويد الخيل والرّكاب، فناج مسلّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنّم"<sup>8</sup>، فتكون "أوّل زمرة تدخل الجنّة على صورة القمر ليلة البدر والذّين على إثرهم كأشدّ كوكب إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض"<sup>9</sup>، يتقدمهم النبي صلى الله عليه وسلم، حيث

<sup>1</sup> ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج2، ص125-126.

<sup>2</sup> ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص690.

<sup>3</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج19، ص258. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل (311هـ): معاني القرآن وإعرايه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1408هـ-1988م)، ج4، ص64. السمرقندي: بحر العلوم، ج2، ص534. الثعلبي: الكشف والبيان، ج7، ص129. مكي بن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية، ج8، ص5203.

<sup>4</sup> الكلايب: جمع كلوب، وهو حديدة معطوفة كالخطاف، ينظر: ابن دريد: جمهرة اللغة، ج1، ص377.

<sup>5</sup> يوبق بعمله: أي يهلك بذنوبه. ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج9، ص265.

<sup>6</sup> يخرذل: المخردل هو المرمي، أو المقطع. ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج7، ص274.

<sup>7</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، رقم: 806، ج1، ص160. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية رقم: 182، ج1، ص163.

<sup>8</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم: 183، ج1، ص169.

<sup>9</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: 3246، ج4، ص118. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم، رقم: 2834، ج4، ص2179.

قال: "أتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك"<sup>1</sup>. اللهم احشرننا جميعاً في زمرة.

وبين أجل الحساب هناك في عرصات القيامة؛ أجل تطرب له القلوب وتشتاق له الأنفس، ألا وهو لقاء المحبين لرسول صلى الله عليه وسلم يردون عليه عند حوضه فتروى الروح حياً، ويذهب عنها العطش، قال الحبيب المحبوب صلى الله عليه وسلم: "وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أولسنا إخوانك؟ يا رسول الله قال: أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ يا رسول الله فقال: أرايت لو أنّ رجلاً له خيل غرّ محجلة بين ظهري خيل دهم بهم<sup>2</sup> ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض"<sup>3</sup>، فأول اللقاء يكون عند الحوض، فعن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظم أبداً"<sup>4</sup>، وفي رواية: "إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليّ منكم"<sup>5</sup>، ومعنى فرطهم: أي أنه يتقدمهم ويسبقهم إلى الحوض، ليستقي لهم ويقري لهم حتى يردوا فيشربوا<sup>6</sup>، وهذا له أثر عظيم في النفوس فهذه المحبة ينبغي أن تقابل بمحبة مثلها وهذا الحرص ينبغي أن يقابل باتباع، فنثبت على دين الله ولا نرتد على أديارنا، ونلزم هدي النبي صلى الله عليه وسلم ونهجه حتى نلقاه عند الحوض فيعرفنا.

<sup>1</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً"، رقم: 197، ج1، ص188.

<sup>2</sup> خيل دهم بهم: أنها خيل سوداء لا يخالط سوادها لون آخر. ينظر: الصحاري: الإبانة في اللغة العربية، ج3، ص591.

<sup>3</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء، رقم: 249، ج1، ص218.

<sup>4</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى {إنا أعطيناك الكوثر} وقال عبد الله بن زيد قال النبي صلى الله عليه وسلم اصبروا حتى تلقوني على الحوض، رقم: 6583، ج8، ص120. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، رقم: 2290، ج4، ص1793.

<sup>5</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى {إنا أعطيناك الكوثر} وقال عبد الله بن زيد قال النبي صلى الله عليه وسلم اصبروا حتى تلقوني على الحوض، رقم: 6593، ج8، ص121.

<sup>6</sup> ينظر: الخطابي: أعلام الحديث، ج3، ص2274.

## المطلب الثالث: أجل النعيم في الجنة

خلق الله الجنة داراً ومستقراً لعباده المؤمنين، وجعلها لا تنفَى ولا تبيد أبداً<sup>1</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]، ﴿لَا يَمَسُّهُمُ فِيهَا نَمَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: 48]، وهذا يدل على أن أهل الجنة خالدون في نعيمها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه"<sup>2</sup>، فإذا استقر أهل الجنة في الجنة نادى مناد عليهم؛ أن يا أهل الجنة: "إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تتعموا فلا تتأسوا أبداً"<sup>3</sup>، ويؤتى بالموت فيذبح، ويقال: يا أهل الجنة لا موت، فيزدادون إلى فرحهم فرحاً<sup>4</sup>، وكيف لا يفرحون وقد أعد الله لهم من النعيم الأبدي ما تقر به الأعين؛ ولا يقدر على وصفه أحد، وفي الحديث: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"<sup>5</sup>، وهو قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17]، فهو نعيم خالد؛ بأعلى درجات النعيم وأقصاها؛ بلا سقم، ولا ملل، ولا ألم، وصدق من قال: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64]، أي إنها حياة دائمة ونعيم مقيم لا انقطاع له<sup>6</sup>، وهذه النعمة العظيمة جعلتهم في حمد دائم تلهج فيه أسنتهم في

<sup>1</sup> ينظر: الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (321هـ): العقيدة الطحاوية، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1414هـ)، ص73.

<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]، رقم: 2836، ج4، ص2181.

<sup>3</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]، رقم: 2837، ج4، ص2182.

<sup>4</sup> ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم: 6548، ج8، ص113.

<sup>5</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: 3244، ج4، ص118. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم: 2824، ج4، ص2174.

<sup>6</sup> ينظر: مكي بن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية، ج9، ص5647.

كل أوقاتهم؛ ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: 10]، فالحمد لله الذي جعل الحمد خاتمة النعمة وفاتحة المزيد.

### المطلب الرابع: أجل المكوث في النار

خلق الله النار داراً ومستقراً لمن كفر وعصى وتجر من خلقه، وجعلها لا تغنى ولا تبيد أبداً<sup>1</sup>، أما عن خلود أهلها فيها؛ فهم على قسمين: الأول من كتب عليهم الخلود فيها، وهم من ماتوا على الكفر، وهؤلاء ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الأحزاب: 65]، أي أن مكثهم في النار طويل مستمر لا أمد له ولا نهاية<sup>2</sup>، قال الله سبحانه عن حالهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 37]، فهم يريدون الخروج من النار ويقصدون ذلك؛ وهذا كما في قوله تعالى: ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَن يُخْرَجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: 20]، ونجدهم يسألون الله إخراجهم من النار كما في قولهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون: 107]، وليس بعد هذا إلا أنهم مقيمون في خلود وعذاب دائم أبداً<sup>3</sup>، وهؤلاء لا يخفف عنهم العذاب ولا يفتر، ويأتيهم من كل جانب، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا ظُلُمٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنَ الظُّلُمِ الَّذِي هُمْ فِيهَا مَكِينٌ﴾ [الزمر: 16]، ﴿وَيَأْتِيهِمُ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُمْ بِأَبْرَاهِيمَ﴾ [17]، وفي زيادة التبكيت لهم؛ "يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: رأيت لو كان لك ملاء الأرض ذهباً أكنت تعتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك"<sup>4</sup>، وفي رواية: "أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم؛ أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الطحاوي: العقيدة الطحاوية، ص 73.

<sup>2</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج 25، ص 185.

<sup>3</sup> ينظر: البغوي: معالم التنزيل، ج 3، ص 51.

<sup>4</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، رقم: 6538، ج 8، ص 112. مسلم: صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر الغداء بملاء الأرض ذهباً، رقم: 2805، ج 4، ص 2161.

<sup>5</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم: 6557، ج 8، ص 115،

والقسم الثاني من أهل النار، من كتب عليهم العذاب فيها إلى أجل يعلمه الله؛ وهم العصاة وأصحاب الكبائر من أهل التوحيد، فهؤلاء يتفاوتون في بقائهم في النار حسب جرائمهم، ثم يخرجون بالشفاعة، فعن الرسول صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فأما تم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا، أذن بالشفاعة"<sup>1</sup>، وفي رواية: "ثم تحل الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة"<sup>2</sup>، وهذه الفئة من أهل النار يتفاوتون في عذابهم، وكل النار عذاب؛ ف"منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته"<sup>3</sup>، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته"<sup>4</sup>،<sup>5</sup> والنار دركات وطبقات متفاوتة في العذاب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145]، فدل أن هناك عذاباً متفاوتاً فيها وهم في أشدها عذاباً<sup>6</sup>، ومما يضاعف العذاب والألم على أهل النار عظم أجسامهم فيها؛ فإن "ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع"<sup>7</sup>، وضرسه مثل جبل أحد<sup>8</sup>، وإن شربهم الحميم، وطعامهم الزقوم<sup>9</sup>، ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنَ حَرِيدٍ﴾ [الحج: 21]، وعليهم ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، رقم: 185، ج1، ص172.

<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، وبكائه شفقة عليهم، رقم: 191، ج1، ص177.

<sup>3</sup> إلى حجزته: وهي مكان ثني طرف الإزار حيث يشد ويعقد. ينظر: صاحب بن عباد: المحيط في اللغة، ج1، ص177.

<sup>4</sup> الترقوة: هي العظم الذي يصل بين ثغرة النحر والعاتق. ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج9، ص61.

<sup>5</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعدنين، رقم: 2845، ج4، ص2185.

<sup>6</sup> ينظر: الأخفش: سعيد بن مسعدة المجاشعي، (215هـ): معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1411هـ-1990م)، ج2، ص502.

<sup>7</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم: 6551، ج8، ص114.

<sup>8</sup> ينظر: مسلم: صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم: 2851، ج4، ص2189.

<sup>9</sup> ينظر: [الواقعة: 52-54]

<sup>10</sup> ينظر: [التحریم: 6]

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم"<sup>1</sup>، وفي رواية: "كلّ خالد فيما هو فيه"<sup>2</sup>، قال تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39].

---

<sup>1</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم: 6548، ج8، ص113.  
<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم: 2850، ج4، ص2189.

## الفصل الرابع

### التوجيهات القرآنية للاستعداد للأجل وأثرها في حياة المسلم

يتحدث هذا الفصل عن المنهج الذي خطه القرآن الكريم للاستعداد للأجل، وفيه بيان لأثر الإيمان في عقيدة الأجل على تغير واقع المسلمين وسلوكهم.

#### المبحث الأول: توجيهات قرآنية للاستعداد للأجل

حوت الآيات التي تناولت موضوع الأجل مجموعة من التوجيهات والمواعظ التي ينبغي على كل مسلم أن يلتزمها، ويتخلق بها، وهي تمثل المنهج القرآني في الاستعداد للأجل، وهذا المبحث يتناول بعض هذه التوجيهات.

#### المطلب الأول: الثبات والاستقامة على الدين

إن الاستقامة على طاعة الله، والثبات عليها، من أهم ما ينبغي على المسلم أن يتسلح به، حتى يلقي ربه، فيلتزم بما أمر الله وينتهي عما نهى عنه، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأتباعه بالاستقامة هدياً ومنهجاً، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَإِذْ ذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ إِنَّمَا أُنزِلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى: 14-15]، وقال: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: 112]، فالأمر بالاستقامة هو للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته من بعده، ومعناها في حق النبي صلى الله عليه وسلم المداومة على الاستقامة والاستزادة منها، وتطبيقها في جميع جوانب الحياة، ودعوة الناس إلى

تطبيقها<sup>1</sup>، والرسول صلى الله عليه وسلم قدوة حية للمسلمين في تطبيقه لأمر الله وثباته عليه، فهم من باب أولى أحق بطلب الاستقامة على طاعة الله وأمره؛ والثبات عليه، وفي الحديث عن سفيان بن عبد الله الثقفي، "قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك قال: قل: آمنت بالله، فاستقم"<sup>2</sup>، أي اعتدل واستقم على أمر الله وطاعته، عقيدةً وقولاً وفعلًا، وداوم على ذلك<sup>3</sup>، وهذا الحديث من جوامع الكلم، فهو وصية تجمع الدين كله؛ فإن توحيد الله والاستقامة على أمره، تدخل في كل شيء جاء به الإسلام من أموره الظاهرة والباطنة، فهي تشمل تطبيق ما فرض الله، والإنتهاء عما حرم الله ونهى، والثبات على ذلك<sup>4</sup>، ووعده الله من يلتزم بذلك بالخير الوفير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30].

### المطلب الثاني: التفكير في الأدلة والبراهين الواضحة على حقيقة الموت والبعث

ينبغي على المسلم أن يسعى دائماً إلى تقوية إيمانه حتى يحقق الاستقامة، ومن أهم سبل تقوية الإيمان التفكير في خلق الله، فمتى ضعف إيمان المسلم أو دخل الشك إلى قلبه في حقيقة الموت، وما بعده من البعث وأحداث القيامة؛ سارع إلى التفكير في الأدلة والبراهين التي تؤكد حقيقة البعث، وقدرة الله على الإحياء بعد الإماتة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَادِرٌّ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنِّي الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: 99]، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ

<sup>1</sup> ينظر: مكي بن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية، ج5، ص3477+10، ص6573. ابن عطية: المحرر الوجيز، ج3، ص211.

<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب جامع أوصاف الإسلام، رقم: 38، ج1، ص65.

<sup>3</sup> ينظر: محمد الأمين الهري، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف: الكوكب الوهاج والزّوض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مراجعة: هاشم محمد مهدي، وآخرون، (مكة المكرمة: دار المنهاج - دار طوق النجاة، ط1، 1430هـ-2009م)، ج2، ص338.

<sup>4</sup> ينظر: الراجحي، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله: توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، (مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، ط1، 1439هـ-2018م)، ج1، ص111.

بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكْفُورَاتٍ ﴿٨﴾ [الروم: 8]، ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ [الأحقاف: 3]، فهذه الآيات دعوة للناس إلى التفكير في خلق  
 أنفسهم، وكيف أنشأهم الله من العدم، وكيف مر خلقهم بأطوار ومراحل معجزة لا يقدر عليها إلا الله  
 سبحانه، وأن ينظروا في خلق السماوات والأرض وكيف سخر الله هذا الكون بنظام دقيق محكم لا اختلاف  
 فيه ولا تفاوت ولا تصادم، وهم لو أعملوا عقولهم وتفكروا لعلموا أن هذا الخلق لا يقدر عليه إلا الله الحق،  
 وأن لهذا الخلق أجلاً ينتهي إليه، فخلق السماوات والأرض وما بينهما بما فيها من البشر؛ تشير إلى أن هذا  
 الكون وكل ما فيه له أجل سينتهي إليه، وأن الذي قدر على هذا الخلق العظيم؛ لا يعجزه أن يبعث الناس  
 بعد موتهم أحياء، ولو فعل الناس ما أمروا به لتوجهوا إلى الله بالعبادة ولاستقاموا على أمره ولم يعرضوا  
 عنه، ولزادهم هذا التفكير والتدبر دواماً وثباتاً<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث: الاعتبار والاتعاظ بفناء آجال السابقين أمماً وأفراداً

قص القرآن قصص الأمم السابقة، وما حل بها من عقوبة وفناء؛ بسبب مخالفتها لأمر الله واعراضها عن  
 طريقه؛ لتعتبر الأمة وتتعض فلا يصيبها غضب الله وعقابه الذي أصاب من كان قبلها؛ وحتى تقلب الفكر  
 وتقارن حالها بحالهم، يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَوَلَا كِمَّةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ [طه:  
 128-129]، فالآية تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بما يعينه على الصبر والثبات على تبليغهم؛ أن  
 الكفار لو تفكروا وتدبروا في حال الكثرة الفانية التي أهلكها الله من الأمم السابقة، والتي يشاهدون في سفرهم  
 آثار ديارها وقد خلت قفراً من أهلها، على ما كانت فيه من النعمة والقوة والبأس الشديد الذي لم يمنع عنها  
 من عقاب الله شيئاً؛ لكان في ذلك من الاعتبار والوعظ والزجر لأصحاب العقول التي تبصر وتشاهد ما

<sup>1</sup> ينظر: مكي بن أبي طالب: الهداية إلى بلوغ النهاية، ج9، ص5662. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج6، ص305.

ليس لغيرها<sup>1</sup>، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١١٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١١٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١١٤﴾ [هود: 102-104]، فالآيات مقام تأمل لأخذ العظة والعبرة، وفيها الزجر لهم حتى يعتبروا قبل حلول أجلهم المعدود، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾ [المؤمنون: 42-43]، تبين الآية أن كل أمة لها أجل مكتوب؛ لا يتقدم ولا يتأخر، فكما انتهى أجل العديد من القرون السالفة؛ فكذلك هذه الأمة لا بد أن تبلغ أجلها وتنتهي مهلتها، فلا بد من التفكر والاعتبار من هذا الإمهال، واصلاح الحال بالتوبة والإذعان لله، واتباع طريق الاستقامة والنجاة، وعمارة الأرض بالخير والصالحات، وفي الآية بعدها جاء قوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٤) [المؤمنون: 44]، وفيه بيان أن سنة الله مطردة في استئصال الأمم المكذبة والظالمة<sup>2</sup>، فهذه الأمم تعاقبت على تكذيب أنبيائها، فاتبعهم الله بالهلاك على إثر بعضهم، فجعلهم الله أحاديث للناس ليعتبر بهم، فبعداً لمن أصر على أن لا يؤمن بآيات الله ولا يعتبر<sup>3</sup>، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185]، والله سبحانه له سنن لا تخطئ ولا تحيد، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن نَّجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن نَّجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43].

<sup>1</sup> ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج22، ص112.

<sup>2</sup> ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج18، ص61.

<sup>3</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج19، ص34-35.

## المطلب الرابع: التحذير من الغفلة عن الأجل وطول الأمل

ذم القرآن الكريم في مواضع متعددة طول الأمل الذي يشغل الإنسان عن الاستعداد للأخرة، ويورثه حب الدنيا والركون إليها، فيود لو أنه يعمر ألف سنة، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: 96]، ومن هذا حاله غلب على قلبه نسيان الموت حتى قسى قلبه وغرته الأمانى، قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: 16]، وهذه الغفلة تعمي القلب عن التبصر فيقع صاحبها في أحوال الفتنة، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: 14]، وقال سبحانه: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [الحجر: 3-5]، فشغلهم طول الأمل والتمني عن طاعة الله وذكر الأجل<sup>1</sup>، فزجرهم الله تعالى وحذرهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: 18-19]، و"سمى الآخرة باسم الغد؛ لسرعة مجيئه"<sup>2</sup>، فالذين نسوا الله وتركوا ما أمر به أنساهم الله أنفسهم أن يقدموا لها الخيرات<sup>3</sup>، وهؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿اعْمُرُوا لِي سَكَرَتِهِمْ يَعْصُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: 72]، أي أن الغفلة عن الأجل قد استحكمت عليهم حتى وقعوا في سكرة عشق الدنيا فلم يفيقوا من غفلتهم إلا وهم في معسكر الأموات<sup>4</sup>، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى

<sup>1</sup> ينظر: السمرقندي: بحر العلوم، ج2، ص251.

<sup>2</sup> الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ج9، ص599.

<sup>3</sup> ينظر: مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل بن سليمان، ج4، ص284. الطبري: جامع البيان، ج23، ص300.

<sup>4</sup> ينظر: العاصمي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (1421هـ): موضوعات صالحة للخطب والوعظ، ص209.

يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ [المؤمنون: 99-100]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [المنافقون: 10-11]، وهيئات حينها أن ينفع الندم.

وهناك الكثير من الأحاديث النبوية فيها تحذير من طول الأمل والغفلة عن الأجل، منها ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل"<sup>1</sup>، وطول الأمل، أي محبة طول العمر، فحذر أن يشغل هذا الحرص عن التزود لدار المعاد، والاستعداد لبغته الأجل<sup>2</sup>، ومنها ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "خطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مَرْتَبَعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خَطًّا صِغَارًا إِلَىٰ هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخَطُّوطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ<sup>3</sup>، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ<sup>4</sup> هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا"<sup>5</sup>، الوسط هو الإنسان، والمربع هو أجله محيط به فلا يمكنه الفرار منه، والخطوط الصغار هي ما يعرض للإنسان من الأمراض والعلل والحوادث التي تصيبه، والخط الخارج من المربع أمله؛ دلالة على تمنيه لطول العمر وحرصه عليه؛ والأجل أقرب إليه من هذا الأمل، والأعراض هي الأسباب التي تقرب إليه هذا الأجل فإن أخطأه أحدها أصابه البعض الآخر<sup>6</sup>، وفي رواية عن أنس رضي الله عنه قال: "خطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطُوطًا فَقَالَ: هَذَا الْأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ"<sup>7</sup>

<sup>1</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، رقم: 6420، ج8، ص89.

<sup>2</sup> ينظر: ابن حجر: فتح الباري، ج11، ص238-240.

<sup>3</sup> الأعراض: جمع عرض؛ والعرض هو ما يحدث للإنسان في الدنيا من حوادث وآفات في الصحة والمال وغيرها كالمرض والجوع والبلاء. ينظر: صاحب ابن عباد: المحيط في اللغة، ج1، ص50.

<sup>4</sup> نهشه: من النهش وهو قبض الفم والأسنان على اللحم وبتفقه، ونهسته الحية أي عضته، والنهش يكون بالأسنان والأضراس، وفي السياق هو نوع من المبالغة في الإصابة والضرر. ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج6، ص54.

<sup>5</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، رقم: 6417، ج8، ص89.

<sup>6</sup> ينظر: المظهري: المفاتيح في شرح المصابيح، ج5، ص300-301.

<sup>7</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، رقم: 6418، ج8، ص89.

الأقرب: "هو الأجل"<sup>1</sup>، والأمل هنا هو حب الدنيا أن يعمر فيها فيغفل عن الإستعداد للأجل حتى يباغته الموت<sup>2</sup>، فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر ويعظ أن تأخذ المسلم الغفلة عن الأجل، وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي، فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"<sup>3</sup>.

### المطلب الخامس: الإكثار من ذكر الموت والاعتاظ بكثرته

من أهم البواعث للاستعداد للأجل؛ الإكثار من ذكر الموت، والاعتاظ بكثرته في هذا الزمان، فيستعد المسلم لما هو ملاقيه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: 78]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ آلَخَالِدُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ كَلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: 34-35]، ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتُ أَلَّذِي تَفْرُوتُ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: 8]، فالموت كما يتبين من الآيات أمر حتمي سيلاقيه كل إنسان، ولن يمنعه عنه بشر ولا حصن ولا فرار، ولم يكتب الله لأحد من البشر أن يخلد حتى لو كان نبياً مقرباً، فعلى المسلم أن يتفكر ويتدبر في قدرة الله على خلقه وموته، ويستفيد من مهلة الأجل التي لم يزل فيها بالتزود بالصالحات، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ

<sup>1</sup> البغا، مصطفى ديب، شرح وتعليق في حاشية صحيح البخاري، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، ج8، ص89.

<sup>2</sup> ينظر: الملا القاري، علي بن سلطان محمد الهروي (1014هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1422هـ-2002م)، ج8، ص3296.

<sup>3</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، رقم: 6416، ج8، ص89.

رُسُلَنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴿٦٢﴾ [الأنعام: 60-62]، ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فِإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتَتْ مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ بِهَيْجٍ ﴿٥﴾ [الحج: 5]، ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ [الزمر: 42].

وليس الغرض من ذكر الموت تنغيص العيش، فقد بين القرآن الكريم منهجه في الوسطية والاعتدال، فقال سبحانه: ﴿وَأَتَّبِعْ فِي مَاءِ آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴿٧٧﴾ [القصص: 77]، فارشد الله الإنسان إلى أن لا يضيع عمره بالملذات والشهوات، فأمره أن يأخذ من الدنيا حاجته مما أحل الله له وما يعينه على عمارة الدنيا، و أن لا ينسى أن يعمل لآخريته، فيقدم مما وهبه الله له من الخير، بالصدقة والنفقة على أبواب الخير، فلا يستعملها في المعصية والفساد<sup>1</sup>، والإكثار من ذكر الموت علاج نبوي نافع، وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: "فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت"<sup>2</sup>، وما أحوج الناس في هذا الزمان مع ضعف الإيمان وكثرة الغفلة بسبب الفتن إلى الإكثار من ذكر الموت، حتى تعظم الآخرة في نفوسهم فيستقيموا على أمر ربهم.

#### المطلب السادس: معرفة حقيقة الدنيا مقارنة بالآخرة

إن مما يعين على الاستعداد للأجل أن يبصر المرء حقيقة الدنيا، فمتاعها متاع الغرور؛ متاع قليل زائل، قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ [آل عمران: 185]، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا

<sup>1</sup> ينظر: السمرقندي: بحر العلوم، ج2، ص620.

<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، رقم: 976، ج2، ص671.

الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظَالَمُونَ  
فَتِيلاً ﴿٧٧﴾ [النساء: 77]، ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ  
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرِيهُ مُمْسِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ  
شَدِيدٌ وَمَعْفَرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد: 20]، فالدنيا بلدتها  
وشهوتها وزينتها شبهها الله بالمتاع الذي يدلس فيه على المشتري ويغرر فيه حتى يشتريه، وفيه إشارة لشدة  
ردائها لمن أمعن النظر فيها، فهي في ظاهرها سرور وفي باطنها شر، فهي تظهر الحلاوة لمن يطلبها  
وتزيد عليه حتى ينهمك في بهجتها وتستولي عليه لذتها، فيغفل عن الاستعداد، والعمر يفنى وهو في  
بطالة، فهي تغره وتخدعه حتى تسوقه إلى الموت مفلساً، وكل ما يملكه الإنسان من هذه الدنيا فهو له  
تارك، فليست الدنيا إلا متاع أيام لا تلبث أن تزول؛ لذلك وجب عليه أن يأخذ منها طاعة الله ما استطاع  
إلى ذلك؛ وتشبيها بمتاع الغرور هو لمن ركن إليها وأثرها على الآخرة، أما من جعلها زاداً وطلب بها  
الآخرة فالدنيا له متاع بلاغ<sup>3</sup>، وفي تحقير أمر الدنيا جاء في الحديث "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ<sup>4</sup>، وَالنَّاسُ كَنَفْتِهِ<sup>5</sup>، فَمَرَّ بِجَدِي<sup>6</sup> أَسْكَ<sup>7</sup> مَيِّتٌ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ  
قَالَ: "أَيْكُمْ يَحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرَهُمْ؟ فَقَالُوا: مَا نَحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بَشِيءٌ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: أَتَحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟

<sup>1</sup> المتاع: كل ما يتمتع به وينتفع ويتزود به ويأتي عليه الفناء في الدنيا، ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج2، ص173+175.  
<sup>2</sup> الغرور: غره يغره غرورا أي خدعه، والغرور هو كل ما يغتر به من متاع الدنيا الزائل. ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج8، ص19.  
الرازي: مختار الصحاح، ص226.  
<sup>3</sup> ينظر: الألويسي: روح المعاني، ج2، ص357-358. ابن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي (ت1224هـ): البحر المديد في تفسير  
القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي، الطبعة: 1419هـ)، ج7، ص323.  
<sup>4</sup> العالوية: المكان العالي، ويقال لها علو، وهي من محال العرب من الحجاز وما يليها. والمعنى في السياق أن النبي صلى الله عليه وسلم  
ذهب إلى بعض عوالي المدينة فرجع منها ودخل السوق. ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، ج4، ص115. محمد الأمين الهرري: الكوكب  
الوهّاج، ج26، ص329.  
<sup>5</sup> كنفته: وكفا الإنسان: جانباه، وناحيته عن اليمين الشمال، أي على جنبيه يحيطون به. ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج10، ص152-  
153.

<sup>6</sup> الجدي: هو الذكر من ولد المعز. ينظر: الجوهري: الصحاح، ج6، ص2299.  
<sup>7</sup> أسك: هو صغر قوف الأذن وضيق الصماخ؛ أي أن أذنه وصغيرة وخرقها ضيق، ويقال أيضاً لمن لا أذن له، أو من به صمم استك  
سمعه. ينظر: صاحب بن عباد: المحيط في اللغة، ج2، ص18.

قالوا: والله لو كان حياً، كان عيباً فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: فوالله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم<sup>1</sup>، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه -وأشار يحيى بالسبابة- في اليم<sup>2</sup>، فلينظر بم ترجع؟"<sup>3</sup>، ومعنى هوان الدنيا على الله: أنه لم يجعلها دار إقامة ولا جزء ولا جعلها مقصودة لنفسها؛ بل هي طريق موصلة إلى الدار الآخرة، فالدنيا دار رحلة وبلاء، صغرها الله وحقرها وذمها، ولم يرض لعاقل فيها إلا بالتزود منها، والتأهب للارتحال عنها<sup>4</sup>، وفي الحديثين مواقف تربوية يستخدم فيها النبي صلى الله عليه وسلم جانب الحس والتصوير في بيان حقيقة الدنيا، ففي الحديث الأول يستغل النبي صلى الله عليه وسلم الموقف خلال وجوده في السوق والصحابة يلتفون حوله، وأثناء مرورهم بجدي ميت معيب الخلقة، يعلن النبي صلى الله عليه وسلم عن مزاد عجيب يبيع فيه جدياً ميتاً، في مشهد تكتنفه الحيرة والدهشة، حين يمسكه النبي صلى الله عليه وسلم بيديه فيرفعه من أذنه ويسألهم من يشتري هذا الجدي بدرهم، فيقولون ما حاجتنا له وما نضنع به؟! وحين يكرر عليهم السؤال، يذكرون عيوبه التي تزهدهم فيه حتى لو كان حياً؛ فكيف وهو ميت، ثم يكشف لهم النبي صلى الله عليه وسلم العبرة التي تعمق في نفوسهم هوان الدنيا وحقارتها فيقول: "فوالله للدنيا أهون على الله، من هذا عليكم"<sup>5</sup>، وفي الحديث الثاني يعرض لهم النبي صلى الله عليه وسلم مقارنة يصور فيها حال الدنيا من الآخرة في قصر مدتها وفناء نعيمها ودوام الآخرة ودوام نعيمها، كمن يضع إصبعه في البحر ثم ينظر كم علق به من ماء البحر، فهذه هي نسبة الدنيا من الآخرة<sup>6</sup>، فهل من معتبر؟!

<sup>1</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق رقم: 2957، ج4، ص2272.

<sup>2</sup> اليم: هو "البحر". الأزهري: تهذيب اللغة، ج15، ص460.

<sup>3</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: 2858، ج4، ص2193.

<sup>4</sup> ينظر: القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم (578-656هـ): المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب ميسنر، وآخرون، (دمشق -بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1417هـ-1996م)، ج7، ص108.

<sup>5</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق رقم: 2957، ج4، ص2272.

<sup>6</sup> ينظر: النووي: المنهاج، ج17، ص192-193.

## المطلب السابع: التحذير من الانشغال بالأموال والأولاد عن التزود لدار المعاد

لما كان الانشغال بالأموال والأولاد من أكثر ما يلهي الإنسان ويشغل وقته؛ جاء التحذير من أن يشغله ذلك عن الاستعداد لساعة الموت ولقاء الله، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَأْمَالُكُمْ وَلَا ءَأَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: 9-10]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: 99-100]، وفي الآيات تحذير للمؤمنين ونهي لهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، وخص الأموال والأولاد بالذكر لإقبال الناس عليها وانشغالهم باكتسابها ونائها وكنزها، فتشغلهم بذلك عن طاعة الله، وذكر الله يشمل كل ما أمر الله به ونهى عنه، ثم أمرهم أن ينفقوا مما رزقهم الله في كل سبل الخير، ويبادروا بالإففاق والعمل الصالح، قبل أن يأتيهم الموت، فيتمنى أحدهم لو يؤخره الله لأجل قريب ومهلة قصيرة ليؤدي حق الله فيما رزقه، وهيئات حينها أن يؤخر أو ينفعه الندم<sup>1</sup>، وكيف يمد له في أجله وقد أمهله الله ليعمل وأقام عليه الحجة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: 37]، وهذا الانشغال بالأموال والأولاد هو التكاثر المذموم الذي نهى الله عنه بقوله: ﴿أَلَمْ تَكُن مِّنَ السَّائِغِينَ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ [التكاثر: 1-2]، أن ينشغل الإنسان بجمع الأموال والأولاد، وينشغل بالزينة والكثرة الملهية من نعيم الدنيا حتى يساق إلى قبره وقد غفل عن الاستعداد وفرط في حق الله، فحينها يفيق من غفلته، ويتمنى الرجوع لينفق من عمره وماله وولده، ويجعل في ذلك كله جسراً يعبر به إلى الله، وشهادة له عند الله أنه قد أدى الأمانة فيما وهبه الله من نعم، فاللهم إنا نعوذ بك أن تلهينا الدنيا ونأتي إليك مفلسين.

<sup>1</sup> ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج28، ص250-251.

## المطلب الثامن: إنذار الناس وتخويفهم من مغبة الأجل

لما كانت الغفلة والنسيان من طبع الإنسان؛ جاءت الآيات تحذر الناس وتذرههم وتخوفهم من غضب الله وعقابه، فلا بد من سوط الترهيب إلى جانب الترغيب حتى يستقيم حال الناس على طاعة الله ومرضاته قبل أن يأتيهم الأجل، ومن الآيات التي تناولت ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظُلْمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [هود: 102-104]، ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ الْوَالِدَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلِ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: 44]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل: 61]، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [العنكبوت: 53-56]، فهذه الآيات تذكر بحال الأمم السابقة وقدرة الله عليها، وتذير الناس أن تتعظ وتعتبر قبل أن يأتيها الأجل بغتة في ساعة لا تتقدم ولا تتأخر، وتصور لهم صورة العذاب حين يقع بهم في مشهد يوقظ القلوب، فهو يأتي بغتة ويغشاهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وفي مشهد آخر تصور لهم حشرهم وجدالهم وعذابهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجَحِ قَدْ أَسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأنعام:

[128]، ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾ [المرسلات: 11-13]، فهلا تعتبر الأمة

قبل أن تأتي ساعة لا ينفع فيها اللوم والندم، فما زالت في مهلة، وما زال المقام مقام إنذار وتخويف، فعليها أن تأخذ حظها من مهلتها وتحبيب دعوة الله، وتتبع رسوله صلى الله عليه وسلم.

### المطلب التاسع: المبادرة بالتوبة قبل حضور الأجل

إن من أهم التوجيهات في مسألة الاستعداد للأجل الإجابة إلى الله، والمصارعة في التوبة النصوح، فإذا علم الإنسان أن الأجل يأتي بغتة في ساعة لا تتقدم ولا تتأخر، في ساعة لا ينفع حينها الندم ولا التوبة، وإذا كان الموت حاضراً في نفس الإنسان؛ أيقظ ذلك قلبه أن ينيب إلى ربه تائباً مستقيماً على أمره، قال تعالى:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا

الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: 18]، ﴿وَأَن أَسْتَغْفِرُوا

رَبَّهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٣﴾﴾ [هود: 3]، فقبول التوبة من العبد لها أجل ينتهي

إليه، فباب التوبة وقبولها مفتوح للعبد مالم يحضر أجله، ومالم تطلع الشمس من مغربها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء

الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها"<sup>1</sup>، وهذا من رحمة الله عز وجل، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ

وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الشورى: 25]، فلا بد من الاعتبار فما زال العبد في دار

العمل، وما زال في العمر متسع، وباب التوبة مفتوح، فالبدار البدار أيها الناس قبل حلول الأجل، فكما جاء في الحديث القدسي: "يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفىكم إياها، فمن وجد خيراً، فليحمد الله

ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم: 2759، ج4، ص 2113.

<sup>2</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، رقم: 2577، ج4، ص1994.

## المطلب العاشر: الوفاء بالعهود وإرجاع الحقوق إلى أصحابها

من أعظم التوجيهات القرآنية التي حوتها آيات الأجل هي الوفاء بالعهد، وحفظ الحقوق وردها إلى أصحابها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [البقرة: 282]، وفي الآية أمر بالكتابة والإشهاد في الحقوق المؤجلة لأنه مما يعين على أداء الحقوق وإرجاعها إلى أصحابها<sup>1</sup>، وفيه أيضا بيان لأهمية توثيق المعاملات المالية وبيان آجالها، وفي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 180]، وحضور الموت هنا ظهور أماراته كالمرض الشديد ونحو ذلك، والخير هنا المال الكثير<sup>2</sup>، والوصية هي الأمر بالشيء لبعد الموت لأن الأجل في الآية قد حضر، فإن كان له ما يوصي به من مال أو دين أو وديعة وجب عليه الكتابة والإشهاد عليه<sup>3</sup>، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "ما حقّ امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده"<sup>4</sup>، أمر بالوصية وحث عليها، وأن لا يبيت المرء وله ما يوصي به من الحقوق إلا ووصيته مكتوبة عنده<sup>5</sup>.

ولنا في أنبياء الله قدوة حسنة في قضية الوفاء بالعقود والمواثيق واحترام الأوقات، قال الله تعالى حكاية عن نبي الله موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ فَضَيْتَ فَلَا عُدْوَتَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ

<sup>1</sup> ينظر: الواحدي: الوسيط، ج1، ص401.

<sup>2</sup> ينظر: النسفي: مدارك التنزيل، ج1، ص157.

<sup>3</sup> ينظر: الشوكاني: فتح القدير، ج1، ص205.

<sup>4</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا، رقم: 2738، ج4، ص2. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الوصية، رقم: 1627، ج3، ص1249.

<sup>5</sup> ينظر: النووي: المنهاج، ج11، ص74-75.

مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴿القصص: 28﴾، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص: 29]، فقد وفى موسى

عليه السلام بعهده وأمانته، وهذا دأب الأنبياء عليهم السلام إذا قالوا فعلوا<sup>1</sup>.

ونجد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴿البقرة: 231﴾، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ

كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: 2]، أمر بحسن الخلق في أداء

الحقوق، والزواج ميثاق وعهد غليظ، وهو من أعظم العقود التي يؤمر بها بحسن الخلق، قال تعالى:

﴿وَإِذَا خَلَا مِنْكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: 21]، فالزوج مطالب بالمعروف والإحسان لزوجته، إن هو

أراد أن يمسكها، فيحسن عسرتها ويؤدي حقها من النفقة والكسوة والسكن مع حسن الصحبة، وإن هو أراد

فراقها كان ذلك أيضا بالإحسان لها وعدم الإضرار بها فيوفئها حقها من مهرها<sup>2</sup>، وهذه المواقف أوصى الله

بها بالإشهاد والتوثيق للطلاق أو الرجعة بين الزوجين لحفظ الحقوق ولعظم هذا الميثاق وحرمة التهاون

فيه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، رقم: 2684، ج3، ص181.

<sup>2</sup> ينظر: الطبري: جامع البيان، ج23، ص443.

<sup>3</sup> ينظر: الواحدي: التفسير البسيط، ج21، ص505.

## المبحث الثاني: أثر الإيمان بالأجل في تغيير واقع المسلمين وسلوكهم

إن الفهم السوي لعقيدة الأجل وما جاء فيها من توجيهات قرآنية ونبوية، وأن الموت أمر حتمي سيلاقه كل إنسان، كان ولا بد أن يكون له بالغ الأثر على الفرد والمجتمع، فإذا كانت السماوات والأرض على عظم خلقها تخضع لعظمة الله وتدع عن لأمره ولسان حالها عند خلقها: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11]، أوليس أولى بالإنسان الضعيف الذي لم يكن شيئاً مذكوراً قبل خلقه في الرحم، مروراً بأجل ولادته وحياته إلى موته؛ هذا الأجل الذي لا يساوي شيئاً من عمر هذا الكون وعظم خلقه ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: 57]، أليس أولى به أن يأتى بأمر الله ويتأثر بكلامه وما أقامه عليه من الحجج والدلائل البينات، إن الإيمان بعقيدة الأجل وأن كل إنسان له أجل محدد كتبه الله عليه، والإيمان بأن تأخير الأجل عن وقته مما لا سبيل له وليس لأحد أن ينقصه أو يعجله، والإيمان بالساعة وما فيها من الآجال والمراحل التي يمر بها الإنسان، واستحضار ساعة الحساب، وبقاء كل ذلك حاضراً في نفس الإنسان، كل ذلك ينعكس إيجاباً على المسلم في سلوكه وعمله وفكره ثم على المجتمع والواقع من حوله، نذكر من هذه الآثار التالي:

أولاً: الآثار النفسية: الإيمان بعقيدة الأجل يحقق الاتزان النفسي لأن المسلم يشبع الجانب الروحي والجسدي، ويوازن بين أعمال الدنيا والآخرة، فتجده صاحب همة عالية مطمئن النفس يشعر بالسكينة والسلام، وتجده شجاعاً مقداماً في سبيل الله يشعر بالعزة ولا يساوم على الحق، فأجله مقدر يوم خلقه، فلا أحد يملك قبض روحه سوى الله جل في علاه، فهو يؤمن بأن الموت والنفع والضرر بيد الله، مما يحرره من الجبن والخوف من الموت والأعداء، ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146]، فتتحقق العظة والعبرة، وتعظم الآخرة في نفسه، ويشعر برقابة الله الدائمة له، فتجده متيقظاً حذراً مستعداً لساعة الأجل، وحريصاً

على أوقاته أن لا تضيع سدى، وتجده يرضى عن أقدار الله عند الموت والابتلاء، فيحمد الله ولا يسخط على قضائه، ومن يدرك حقيقة الدنيا يرضى بما قسمه الله له فلا يحسد غيره، بل يحسن شكره لربه، ويحسن التوكل عليه، ويخشى الله ويتقيه، فتزكو نفسه وتتطهر، ويغمره شعور السعادة.

**ثانياً:** الآثار التعبدية: يتمتع المسلم بعقيدة راسخة وإيمان قوي بأن الموت حق والبعث حق، فتتحقق الاستقامة وتنتشر بين المسلمين، فيخلصون الطاعة لله كما يحب ربنا ويرضى، ويقدمون على التزام أمره ونهيه، وتجدهم أكثر حرصاً على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم. وأيضاً فإن التفكير في فناء السابقين أمماً وأفراداً؛ يؤدي إلى الخوف والرجاء، فالمسلم يخاف أن يأتي الأجل بغته فيحرص أن يختم له بخير من صلاة وصيام وذكر وغيرها، وتجده حال ما أذنب يسارع بالتوبة والإذعان لله، ويحاسب نفسه دائماً، ويسعى إلى دوام الصلة بالله، ويحرص على أداء حق الله في أمواله؛ بالزكاة والصدقة على أبواب الخير.

**ثالثاً:** الآثار السلوكية والأخلاقية: الإيمان بعقيدة الأجل يهذب أخلاق المسلم وسلوكه، فإذا ما أحسن النية والاحتساب في عمله؛ صار سلوكه كله طاعة، وكان له به أجر، وفي الحديث، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها، فهو له صدقة"<sup>1</sup>، "وفي بضع<sup>2</sup> أحكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"<sup>3</sup>، وعن معاذ بن جبل أنه كان يحتسب نومه يتقوى به على طاعة الله ويطلب من الله أجره، فقد سئل كيف تقرأ القرآن فأجاب بقوله: "أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي"<sup>4</sup>، فالإيمان بالأجل ينعكس على السلوك حتماً ويرافقه العمل لزاماً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً

<sup>1</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، رقم: 55، ج1، ص20. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين رقم: 1002، ج2، ص695.

<sup>2</sup> البضع: هو النكاح، والمباذعة: المجامعة. ينظر: الجوهري: الصحاح، ج3، ص1187.

<sup>3</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم: 1006، ج2، ص697.

<sup>4</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم: 4341 و4342، ج5، ص161.

أو ليصمت"<sup>1</sup>، وخص الإيمان بالله واليوم الآخر إشارة إلى المبدأ والمعاد، فمن آمن بالله وأنه مجازيه على أعماله فليفعل هذه الخصال<sup>2</sup>، وهذه الأمور الثلاثة من جوامع الكلم الفعلية والقولية، فوصيته بعدم إيذاء الجار فيه التخلية من الرذائل، ووصيته بإكرام الضيف فيه تحلي بالفضائل، ووصيته بقول الخير أو السكوت فيه إشارة إلى خطورة قول اللسان، فيشفق المسلم على نفسه وغيره، فإما أن يقول خيراً أو يصمت عن الشر، ومن يعظم الله ويوم الحساب يظهر ذلك على سلوكه قولاً وفعلًا<sup>3</sup>، وتجده يتصف بالتواضع والإخاء وعدم الكبر، والأمانة في المعاملات، كما يتصف بالوفاء وحفظ الحقوق وردها إلى أصحابها، وتجده في غالب سلوكه يأخذ من الدنيا حاجته مما أحل الله له وما يعينه على عمارة الدنيا، فيجعلها زاداً ومتاعاً يبلغه جنة الآخرة، فيسعى إلى صلاح نفسه ورعيته، ويجعل من عمره وماله وولده جسراً يعبر به إلى الله، وشهادة له عند الله أنه قد أدى الأمانة فيما وهبه الله من نعم، وتجده يسعى إلى الجهاد في سبيل الله، ويذل عمره وروحه طامعاً في ثواب الله، وشعور الرقابة الدائم والخوف من الحساب يقوده إلى الجد والنشاط في العمل الذي يعمر دنيا المسلم وآخرته بكل خير، فهو يحرص على أن يملأ عمره وموازين أعماله بالخيرات التي تشفع له عند الحساب.

وهذه الآثار نراها في سلفنا الصالح، فقد فقهوا أهمية إعمار أعمارهم بعمل يستمر أثره من بعدهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"<sup>4</sup>، فهم أدركوا أن منحة الأجل غالية، فأحسنوا إعمارها حتى منحهم الله بركتها، فعزموا أمرهم على طلب العلم والانشغال به، وهذه تصانيفهم من بعدهم تشهد لهم، وقد وثق التاريخ حرصهم على أوقاتهم وأن أعمار بعضهم على قصرها اتسعت لكثير من الإنجازات، فهذا المحدث

<sup>1</sup> البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، رقم: 6136، ج8، ص32. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، رقم: 47، ج1، ص68.

<sup>2</sup> ينظر: ابن حجر: فتح الباري، ج10، ص446.

<sup>3</sup> ينظر: الكرمانى، محمد بن يوسف بن علي (786هـ): الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، (لبنان - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1: 1356هـ-1937م، ط2: 1401هـ-1981م)، ج21، ص175.

<sup>4</sup> مسلم: صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم: 1631، ج3، ص1255.

حماد بن سلمة كان يقسم النهار على أعماله، بين التحديث والصلاة والقراءة<sup>1</sup>، وهذا ابن جرير الطبري "مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة"<sup>2</sup>، وابن الجوزي من شدة حرصه على عمره كان يخصص بعض الأعمال التي لا تحتاج إلى فكر لوقت لقاء الناس، كقص الورق وبري الأقلام وحزم الدفاتر، حتى لا يضيع وقته ويمضي زمانه فارغاً<sup>3</sup>، كأنه بذلك يؤسس لأصل حضاري أدركه الغرب حديثاً وهو استغلال فترات السويجات الهاربة<sup>4</sup>، وغيرهم الكثير، فكانوا مع مسارعتهم في الخيرات أشد خشية من الله ولسان حالهم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦١﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون: 60-61]، فكانت آثارهم لا تفنى، وعلمهم لا يزال يدرس وينتفع به، وهم دليل شاهد أنهم بشر مجبولون من طينة البشر؛ لكنهم فقهوا قيمة أعمارهم، فأحسنوا فيها العمل والأثر، وكما قيل: "وسر المسألة أن عمر الإنسان مدة حياته، ولا حياة له إلا بإقباله على ربه، والتنعيم بحبه وذكره، وإيثار مرضاته"<sup>5</sup>.

إن أثر الإيمان بالأجل يتعدى من الأفراد إلى المجتمع ككل، فعندما تتمكن عقيدة الأجل في نفوس المسلمين على اختلاف مواقعهم، كان ذلك منهم كاللبنة في البناء تتجمع لتسهم في رقي واقعهم، إذ ينعكس ذلك السلوك إلى آثار تمس المجتمع ككل، فيصبح المجتمع الإسلامي قوياً مستقيماً يتمتع بأخلاق رفيعة، وتسوده العدالة والأمانة والرحمة، فكل فرد من أفراد من الحاكم حتى رب الأسرة يعلم أنه مؤتمن ومسؤول عن رعيته فيتحمل المسؤولية ويؤدي واجباته ويأخذ في المقابل حقوقه، ويسعى إلى البذل والعتاء رغبة

<sup>1</sup> ينظر: المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (742هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1400-1413هـ، 1980-1992م)، ج7، ص265.

<sup>2</sup> الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت (463هـ): تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1422هـ-2002م)، ج2، ص548.

<sup>3</sup> ينظر: ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ): صيد الخاطر، تحقيق: حسن المساحي سويدان، (دمشق: دار القلم، ط1، 1425هـ-2004م)، ص241.

<sup>4</sup> ينظر: أبو هنود، كفاح، فقه بناء الإنسان في القرآن، (عصير للكتب، ط1، 2020)، ص160.

<sup>5</sup> ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (751هـ): الداء والدواء =الجواب الكافي، (المغرب: دار المعرفة، ط1، 1418هـ-1997م)، ص55.

فيما عند الله، فترتفع إنتاجية المجتمع ويكون العمل متقناً على الصعيد النوعي والكمي مما يسهم في نهضة ورفعة المجتمع الإسلامي، ويكون ذلك المجتمع بعيداً عن كل السلوكيات المحرمة والانحرافات فتتخفض معدلات الجريمة التي تسهم في سقوطه؛ كالسرقة والاختلاس والمحسوبية والربا والغش، وغيرها، لاستحضار أفرادها لخشية الله ورقابته واستقامتها على أمره، فيسود الاستقرار والأمن والأمان، ويتحقق معنى الخلافة والتمكين الذي أراده الله، فيعم الخير على بلاد المسلمين وما حولها ويرتفع بذلك ميزانها عند الله بين الأمم.

وبعد فيقع على عاتق المجتمع أن يسعى إلى غرس عقيدة الأجل وتعميق قيمة العمر في نفوس الناس، وذلك عن طريق الدعوة إلى الله بإعداد العلماء والدعاة وتسلحهم بالعلم والمعرفة واستغلال خطب الجمعة ونشر الدروس التي تجعل الآخرة حاضرة في النفوس، وبثها في المساجد والمدارس، ومنه أيضاً استغلال الإذاعة الصباحية المدرسية بأن تكون هناك فقرة أسبوعية عن الدار الآخرة، ومن ذلك أيضاً عمل مبادرات مدرسية تغرس قيمة الوقت مثل تخصيص ربع ساعة إلى نصف ساعة يومية للقراءة ووضع الجوائز التحفيزية عليها، فهذه كم سترفع عتبة الوعي عند الناشئة على مدار سنوات، ومن ذلك أيضاً عمل برامج مجانية تدعمها الدولة أو مؤسسات مجتمعيه تشغل النساء والشباب والناشئة بكل ما هو مفيد وتضع بين أيديهم محتوى هادف متنوع بين القراءة والسماع والمرئيات الهادفة والخدمات المجتمعة وغيرها، توجد عندهم التقدير لقيمة أعمارهم وتوجد لهم الصحة التي تعينهم فلا تضيع أعمارهم هباء منثوراً ولا يأتوا إلى الآخرة وهم مفلسين متحسرين، وتكون بديلاً هادفاً عن محتوى التفاهة الذي تضج به المواقع الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي، والذي يعتبر تحدي حقيقي يهدد الأجيال القادمة، ويسلب من الناس آجالهم إن لم يفيقوا من غفلتهم، وينصح أيضاً بإضافة مادة ثابتة تراكمية في المناهج المدرسية تعلم الناشئة كيفية إدارة الوقت وتنظيمه وتعلمهم فقه الأولويات، والموازنة بين أعمال الدنيا والآخرة، مع ضرورة أن تشارك الأسرة المدرسة في تحقيق التطبيق العملي للتربية الزمنية، فيتم ضبط أوقات الأبناء منذ نعومة أظفارهم،

وهذا له دور فاعل في ترسيخ قيمة الزمن وتعليمهم احترام الوقت، هذا كله سيكون له الأثر المبارك في أعمار هذه الأمة مما يسهم في نهضتها ورفعته فتعود الحضارة الإسلامية إلى أوجها من جديد.

## الخاتمة

وفي الختام أحمد لله صاحب الحمد والثناء أن من عليّ بإتمام عملي هذا، وأسأله سبحانه أن يجعله عملاً مقبولاً وأثراً محموداً، وأن يغفر ما كان فيه من التقصير والزلل، وفيما يلي أهم النتائج والتوصيات:

### النتائج:

1. معنى الأجل في الاصطلاح لا يخرج عن المعنى اللغوي فيستعمل بمعنى المدة جميعها وبمعنى نهاية الوقت كوقت حلول الدين ووقت الموت ونحوها، وكلها ترجع إلى وقت الشيء وموعد حصوله.
2. إن عدد السور التي أوردت مادة الأجل في القرآن الكريم ثمانية وعشرون سورة، وبلغ تكرار لفظ الأجل في المواضع المختلفة على إختلاف اشتقاقاته خمسة وخمسين موضعاً.
3. أكثر السور التي عرضت مادة الأجل كانت مكية النزول، وقد بلغت إحدى وعشرين سورة، في حين أن السور المدنية التي عرضت لمادة الأجل كانت ثمانية سور.
4. استعمل مصطلح الأجل في الآيات المكية بمعنى الموت والساعة والهلاك ونحوها، وفي الآيات المدنية زاد عليه المعنى الفقهي للأجل نحو أجل البيوع والعقود وأجل الطلاق والعدة ونحوها.
5. حملت مفردة (الأجل) في القرآن الكريم في سياقاتها المختلفة معاني متعددة وهي: انتهاء الدنيا، وقت العذاب، مطالع الشمس والقمر، انقضاء الدين، وقت النحر، أجل الولادة، أجل العدة، يوم القيامة، الموت، الوقت والشرط.
6. إن الأجل في كتاب الله ثابت ومطلق لا يزيد ولا ينقص أبداً، بخلاف ما ذهب إليه أغلب من تناول المسألة بالدراسة، فما علم الله من الأجال وما كتب الله وقدر في صحف الملائكة لا يقبل الزيادة والنقصان، ولا يجوز عليه التبديل؛ لأنه صادر عن حكم الله الواحد، والملائكة ليس لهم من الأمر شيء إلا الطاعة.

7. جاء الأجل في القرآن الكريم على أنواع متعددة وهي: أجل الإنسان، وأجل الأمم، وأجل الكون، وأجل الآخرة.

8. تناولت آيات الأجل في القرآن الكريم مجموعة من التوجيهات القرآنية المتعلقة بالأجل؛ منها: الأمر بالثبات والاستقامة على الدين، والتفكر بالأدلة والبراهين الواضحة على حقيقة البعث، والاعتبار بفناء آجال السابقين أما وأفراداً، والتحذير من الغفلة عن الأجل، والإكثار من ذكر الموت، والمبادرة بالتوبة إلى الله، والوفاء بالعهود وإرجاع الحقوق إلى أصحابها.

9. الإيمان بالأجل له أثر بالغ في تغيير واقع المسلمين وسلوكهم على المستوى الفردي والاجتماعي، فهو يحقق الاتزان النفسي في شخصية المسلم، كما أنه يهذب أخلاقه وسلوكه، ويحقق الاستقامة والإقبال على طاعة الله وعبادته، ويكون المسلم أكثر حرصاً على وقته وعمره من الضياع، وهذا ينعكس على المجتمع ككل ويسهم في رفعته ورقية الحضاري بين الأمم.

#### التوصيات:

1. توصي الدارسة بمزيد من الدراسات حول موضوع الأجل، وتدبر كتاب الله وما جاء فيه عن الأجل دراسة وفقهاً وتأثراً وتأثيراً.

2. توصي الباحثة بدراسة موسعة بعنوان: أثر الإيمان بالأجل على واقع المسلمين وسلوكهم.

## قائمة المصادر والمراجع

### المراجع العربية

### القرآن الكريم

أحمد، حنفي: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، (مصر: القاهرة، دار المعارف).

الأخفش: سعيد بن مسعدة المجاشعي (215هـ): معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1، 1411هـ-1990م).

الأزهري، محمد بن أحمد الهروي (370هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م).

الأشقر، عمر سليمان عبد الله وآخرون: دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة: بدء الحياة ونهايتها في المفهوم الإسلامي، (الأردن: دار النفائس، ط1، 1421هـ-2001م).

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله: اليوم الآخر: القيامة الصغرى، (الأردن، الكويت: دار النفائس للنشر والتوزيع، مكتبة الفلاح، ط4، 1411هـ-1991م).

الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

الاندونيسي، محمد صفوان مبرير: أسباب هلاك الأمم كما يصورها القرآن المكي: دراسة موضوعية في ضوء الكتاب والسنة المطهرة، (السودان: أم درمان، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 2004م).

البار، محمد علي: الحياة الإنسانية الدنيوية.

البار، محمد علي: الوجيز في علم الأجنحة القرآني، (جدة -الرياض -الدمام -الطائف: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، 1405هـ-1985م).

البار، محمد علي: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، (جدة -الرياض -الدمام -الطائف: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط4، 1403هـ-1983م).

الباز، عبد العزيز بن عبد الله وآخرون: مجلة البحوث الإسلامية، (السعودية: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، العدد الثامن، 1403-1404هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه =صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ).

بريل: جى. موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: إبراهيم زكي خورشيد، وآخرون، تحرير:م. ت. هوتسما، وآخرون، مراجعة وإشراف: أ. د. حسن حبشي، وآخرون، (مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1418هـ-1998م).

ابن بطة، عبيد الله بن محمد العكبري (387هـ): الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق: رضا معطي، وآخرون، (الرياض: دار الراجحة للنشر والتوزيع).

البطوش، معاوية عبد الحميد عودة الله: الأجل والرزق عند الفرق الإسلامية: دراسة عقديّة مقارنة، (الأردن: جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، 2015م).

البغا، مصطفى ديب، شرح وتعليق في حاشية صحيح البخاري، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ).

البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد (510هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ-1997م).

أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني (1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة - بيروت).

البوطي، محمد سعيد رمضان: كبرى اليقينيّات الكونية: وجود الخالق ووظيفة المخلوق، (لبنان: بيروت، سوريا: دمشق، دار الفكر المعاصر، ط1: 1969م، إعادة تصوير عن ط8: 1982م، 1997م).  
بوكاي، موريس: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: خالد حسن، (بيروت - دمشق: المكتب الإسلامي، ط3، 1411هـ-1990م).

البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد (685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ).

التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد (بعد 1158هـ): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج، تقديم: د. رفيق العجم، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم الحراني (728هـ): الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، (السعودية: دار العاصمة، ط2، 1419هـ-1999م).

ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم الحراني (728هـ): مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م).

الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم (427هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، (لبنان - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ-2002م).

جبر، محمد أمين: الإنسان ويوم الحساب، (القاهرة - بيروت: مطابع الشروق).

جبل، محمد حسن حسن: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط1، 2010م).

الجرجاني، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل (371هـ): اعتقاد أئمة الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1412هـ).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي (816هـ): كتاب التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ-1983م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ): زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ).

ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ): صيد الخاطر، تحقيق: حسن المساحي سويدان، (دمشق: دار القلم، ط1، 1425هـ-2004م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ): نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم الراضي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1404هـ-1984م).

ابن جوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ): كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، (الرياض: دار الوطن).

الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي (393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ-1987م).

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، أخرجه: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (بيروت: دار المعرفة، 1379).

الحرالي، علي بن أحمد بن حسن (638هـ): تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، (الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، ط1، 1418هـ-1997م).

حسب النبي، منصور محمد: الكون كتاب الله المنظور آيات ودلالات: القمر عداد السنين والنيازك رجوم الشياطين، ر(القاهرة: دار الفكر العربي).

حسب النبي، منصور محمد: الكون والإعجاز العلمي للقرآن، ( القاهرة: دار الفكر العربي، ط2، 1991م). الحمصي، لميس: التمايز الخلوي والخلايا الجذعية والاستموات، (سوريا: دمشق، جامعة الشام الخاصة، كلية الطب البشري، 2011م).

الخازن، علي بن محمد بن ابراهيم (741هـ): لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

الخطابي، حمد بن محمد بن ابراهيم (388هـ): أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، تحقيق: د. محمد بن سعد آل سعود، (جامعة أم القرى: مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط1، 1409هـ-1988م).

الخطيب البغدادي: أحمد بن علي بن ثابت (463هـ): تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1422هـ-2002م).

الخليفة، يزيد بن عبد اللطيف الصالح: الأجل في القرآن الكريم دراسة موضوعية دلالية ، بحث محكم، جامعة الملك سعود، مجلة الدراسات الإسلامية، مج33، ع2، مايو 2021.

الدامغاني، الحسين بن محمد (ت:487هـ): الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز تحقيق: عربي عبد الحميد علي، (لبنان -بيروت: دار الكتب العلمية).

ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي (321هـ): جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ط1، 1987م).

الدينوري، أحمد بن داود (282 هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، 1960م)، (مصر: دار إحياء الكتب العربية -عيسى البابي الحلبي وشركاه).

الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله: توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، (مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، ط1، 1439هـ-2018م).

أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، 1420هـ).

الرازي، محمد بن عمر بن الحسن (606هـ): مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (666هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، صيدا: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط5، 1420هـ، 1999م).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد الأصفهاني (502هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط1، 1412هـ).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد الأصفهاني (502هـ): تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، (جامعة طنطا: كلية الآداب، ط1، 1420هـ-1999م).

ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي (ت: 795هـ): جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط7، 1417هـ-1997م).

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية).

الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق (311هـ): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1408هـ-1988م).

الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (سوريا: دمشق، دار الفكر، لبنان: بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1411هـ-1991م).

زقزوق، محمود حمدي وآخرون: الموسوعة القرآنية المتخصصة، (مصر: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1423هـ-2002م).

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (538هـ): الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي وآخرون، (لبنان: دار المعرفة، ط2).

الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ).

السعدي، داود سلمان: أسرار الكون في القرآن، (لبنان: بيروت، دار الحرف العربي، ط1، 1417هـ-1997م).

ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (244هـ): إصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعب، (دار إحياء التراث العربي، ط1، 1423هـ-2002م).

السمرقندي، نصر بن محمد السمرقندي (373هـ): تفسير السمرقندي =بحر العلوم.

السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي (489هـ): تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (السعودية -الرياض: دار الوطن، ط1، 1418هـ-1997م).

السميري، جابر بن زايد بن عيد: عقيدة زيادة الأجل ونقصانه في ضوء الكتاب والسنة ومفاهيم الأمة، بحث محكم، (الجامعة الإسلامية بغزة: مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، مج9، ع2، 2001م).

سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين (ت:1385هـ): في ظلال القرآن، (القاهرة -بيروت: دار الشروق: ط1، 1972م، ط32، 2003م).

ابن سيده، علي بن إسماعيل المرسي (458هـ): المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1417هـ . 1996م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (911هـ): إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه، تحقيق: أسامة بن عبد العليم آل عطوة، (جدة: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، ط1، 2000م).

بنت شاطي، عائشة عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، (القاهرة: دار المعارف، ط3).

الشريف، عدنان: من علم الطب القرآني الثوابت العلمية في القرآن، (لبنان: بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1990م).

الشهري، راشد بن مفرح بن راشد: الأجل في الفقه الإسلامي، (مجلة البحوث والدراسات الشرعية، 2013م).

الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني (1250هـ): تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل، تعليق وتخريج: مشهور حسن سليمان، (دار ابن حزم).

الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني (1250هـ): فتح القدير، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ).

الشوكي، محمد علي حسن: نفخ الروح في الجنين: بين إعجاز القرآن والسنة وبين الدراسات الطبية الحديثة، (مجلة وحدة الأمة، 2015م، ع4).

الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس (385هـ): المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (عالم الكتب، ط1، 1414هـ).

الصاوي، عبد الجواد: أطوار الجنين ونفخ الروح، (رابطة العالم الإسلامي: الإعجاز العلمي، ع8، 2011م).

الصحاري، سلمة بن مسلم العوتبي: الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: عبد الكريم خليفة، وآخرون، (مسقط - عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ط1، 1420هـ-1999م).

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م).

الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (المتوفى: 321هـ): أحكام القرآن الكريم، تحقيق: الدكتور سعد الدين أونال، (استانبول: مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، ط1، 1418هـ-1998م).

الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة (321هـ): العقيدة الطحاوية، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني،  
(بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1414هـ).

الطبيبي، الحسين بن محمد بن عبد الله (743هـ): الكاشف عن حقائق السنن، تحقيق: عبد الحميد  
هنداوي، (مكة المكرمة - الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1417هـ-1997م).

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل  
الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (تونس: دار التونسية للنشر، 1984هـ).

أبو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (487هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد  
والمواضع، (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1403هـ).

أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (209هـ): مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد، (القاهرة: مكتبة الخانجي،  
ط1381هـ).

ابن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي (1224هـ): البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد  
عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي، الطبعة: 1419هـ).

ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين الحنفي (792هـ): شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -  
عبد الله التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط10، 1417هـ-1997م).

العتار، عبد الناصر توفيق: الأجل في الالتزام دراسة مقارنة، (جامعة القاهرة: كلية الحقوق، 1946).

ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،  
تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ).

العيني: محمود بن أحمد بن موسى (855هـ): عمدة القاري شرح صحيح البخاري، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها محمد منير عبده أغا الدمشقي، وصورتها دور أخرى: مثل (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر).

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء (395هـ): الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، (محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م).

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء (395هـ): مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ-1986م).

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء (395هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، 1399هـ-1979م).

الفراء: محمد بن الحسين بن محمد (458هـ): إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تحقيق ودراسة: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود النجدي، (الكويت: دار إيلاف الدولية، ط1، 1416هـ-1995م).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو (170هـ): العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال).

ابن فورك، محمد بن الحسن الأنصاري (المتوفى 406): تفسير ابن فورك من أول سورة الأحزاب -آخر سورة غافر، تحقيق: عاطف بن كامل بن صالح بخاري، (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، ط1، 1430هـ-2009م).

ابن فورك، محمد بن الحسن الأنصاري (406هـ): مشكل الحديث وبيانه، تحقيق: موسى محمد علي، (بيروت: عالم الكتب، ط2، 1985م).

فياض، محمد: إعجاز آيات القرآن في بيان خلق الإنسان، (القاهرة -بيروت: دار الشروق، ط1، 1420هـ-1999م).

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد (817هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (لبنان: بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ-2005م).

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد (817هـ): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1996م).

القاضي عبد الجبار: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار (ت:415هـ): المغني في أبواب التوحيد والعدل: التكليف، تحقيق: محمد علي النجار، وعبد الحلیم النجار.

القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض (ت: 544هـ): إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (276هـ): تأويل مختلف الحديث، (مؤسسة الإشراف: المكتب الإسلامي، ط2، 1419هـ-1999م).

قدامة بن جعفر، قدامة بن جعفر بن قدامة (337هـ): جواهر الألفاظ.

ابن قدامة، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي (689هـ): مختصر منهاج القاصدين، تقديم: محمد أحمد دهمان، تعليق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، (دمشق: مكتبة دار البيان، 1398هـ-1978م).

القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم (578-656هـ): المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو، وآخرون، (دمشق - بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1417هـ-1996م).

قرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (671هـ): التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط1، 1425هـ).

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ-1964م).

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (465هـ): الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحلیم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، (القاهرة: دار المعارف).

القضاة، شرف محمود محمد: شرح الأربعين النووية، (عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2016م).

القضاة، شرف محمود محمد: متى تنفخ الروح في الجنين؟، (الجامعة الأردنية: مجلة دراسات، م13، ع12، 1986م)، (الأردن: عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ-1990م).

القنوجي، محمد صديق خان بن حسن (1307هـ): فتح البيان في مقاصد القرآن، وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (بيروت - صيدا: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ-1992م).

ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (751هـ): التبيان في أقسام القرآن، تحقيق: محمد حامد الفقي، (لبنان: بيروت، دار المعرفة).

ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (751هـ): الداء والدواء = الجواب الكافي، (المغرب: دار المعرفة، ط1، 1418هـ-1997م).

ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية (751هـ): مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،  
(بيروت: دار الكتب العلمية).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة،  
(دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ-1999م).

الكرماني، محمد بن يوسف بن علي (786هـ): الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، (لبنان  
-بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1: 1356هـ-1937م، ط2: 1401هـ-1981م).

الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر (نحو 505هـ): غرائب التفسير وعجائب التأويل، (جدة -بيروت: دار  
القبلة للثقافة الإسلامية -مؤسسة علوم القرآن).

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود (333هـ): تفسير الماتريدي =تأويلات أهل السنة، تحقيق: د. مجدي  
باسلوم، (لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ-2005م).

المازري، محمد بن علي بن عمر (536هـ): المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، (الدار  
التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات  
بيت الحكمة، ط2، 1988م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م).

الماوردي: علي بن محمد بن محمد (450هـ): تفسير الماوردي =النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد  
المقصود بن عبد الرحيم، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية).

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف: الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن  
الحجاج، مراجعة: هاشم محمد مهدي، وآخرون، (مكة المكرمة: دار المنهاج -دار طوق النجاة،  
ط1، 1430هـ-2009م).

العاصمي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (1421هـ): موضوعات صالحة للخطب والوعظ.

رضا، محمد رشيد بن علي (1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).

المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (1371هـ): تفسير المراغي، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ-1946م).

المرعي الكرمي، مرعي بن يوسف المقدسي الكرمي (ت:1033هـ): إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان، تعليق وتخريج: مشهور حسن سليمان، (عمان: دار عمار، 1407هـ).

المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (654-742هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1400-1413هـ، 1980-1992م).

مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم (261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

مصطفى مسلم، مصطفى مسلم محمد وآخرون: موسوعة التفسير الموضوعي، (مركز تفسير للدراسات القرآنية، السعودية: الرياض، ط1، 1440هـ-2019م).

المظهري، الحسين بن محمود بن الحسن (727هـ): المفاتيح في شرح المصابيح، تحقيق: نور الدين طالب وآخرون، (الكويت: دار النوادر، وزارة الأوقاف الكويتية، ط1، 1433هـ-2012م).

مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان بن بشير (150هـ): تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ).

مكي بن أبي طالب، مكي بن أبي طالب بن مختار (437هـ): الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي -جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، (جامعة الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ط1، 1429هـ-2008م).

الملا القاري، علي بن (سلطان) محمد الهروي (1014هـ): مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1422هـ-2002م).

ابن ملقن، عمر بن علي بن أحمد (723-804هـ): التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، سوريا: دمشق، دار النوادر، ط1، 1429هـ-2008م).

المنائي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين (1031هـ): التوقيف على مهمات التعاريف، (القاهرة: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت، ط1، 1410هـ-1990م).

النجار، زغلزل راغب محمد: من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، (لبنان -بيروت: دار المعرفة، ط4، 1428هـ-2007م).

النجار، زغلول راغب محمد: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، ( القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 1429هـ-2008م).

النحاس، أحمد بن محمد بن اسماعيل (338هـ): معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1409هـ).

النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود (710هـ): مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1419هـ-1998م).

النعمي، حميد مجول: الكون واسراره في آيات القرآن الكريم، (بيروت: دار العربية للعلوم ناشرون، مكتبة الرائد العلمية، 2000م).

النعمي، ناطق محمد جواد: مطابقة علم الأجنحة لما في القرآن والسنة، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1412هـ-1991م).

النوي، محيي الدين يحيى بن شرف (676هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج =شرح النووي على مسلم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ).

النيسابوري بيان الحق، محمود بن أبي الحسن بن الحسين (نحو 550هـ): إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1415هـ).

النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد (850هـ): غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ).

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (نحو 395هـ): الوجوه والنظائر، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1428هـ-2007م).

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (نحو 395هـ)، معجم الفروق اللغوية =الفروق اللغوية بترتيب وزيادة، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، (إيران: قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ).

أبو هنود، كفاح، فقه بناء الإنسان في القرآن، (عصير للكتب، ط1، 2020).

الواحدي: علي بن أحمد بن محمد (468هـ): التفسير البسيط، (السعودية -الرياض: عمادة البحث العلمي -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ).

الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، النيسابوري، الشافعي (468هـ): الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، (بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م).

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (207هـ): فتوح الشام، (دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ - 1997م).  
يحيى بن سلام، يحيى بن سلام البصري (200هـ): تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، (لبنان - بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ - 2004م).

يحيى بن سلام، يحيى بن سلام البصري (200هـ): التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، تحقيق: هند شلبي، (الشركة التونسية للتوزيع، 1979م).

#### المراجع الأجنبية:

Moore, Keith L., Trivedi Vidhya Nandan Persaud, and Mark G. Torchia. The developing human-e-book: clinically oriented embryology. Elsevier Health Sciences, (W.B. Saunders Company : Dar Al-Qiblah for Islamic Literature, Tbird edition, 1983)

## الملاحق

### ملحق (أ)

#### عرض مادة أجل في القرآن الكريم

السورة	مكية/مدنية	الآية
البقرة	مدنية	﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ (231)
البقرة	مدنية	﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرْضَوْنَ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (232)
البقرة	مدنية	﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (234)
البقرة	مدنية	﴿وَلَا تَعْرُمُوا عُقْدَةَ الزَّكَاةِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ (235)
البقرة	مدنية	﴿يَتَأْتِيهَا الذَّرِيرُ ءَامِنُونَ إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾ (282)
البقرة	مدنية	﴿وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُمُوا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ (282)
ال عمران	مدنية	﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا﴾ (145)
النساء	مدنية	﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ (77)
الأنعام	مكية	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ (2)
الأنعام	مكية	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (2)
الأنعام	مكية	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (60)
الأنعام	مكية	﴿رَبَّنَا أَسْتَمِعْ بَعْضَنَا بَعْضًا وَبَلِّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا﴾ (128)
الأعراف	مكية	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ (34)
الأعراف	مكية	﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (34)
الأعراف	مكية	﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَرَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ (135)
الأعراف	مكية	﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (185)
يونس	مكية	﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِأَخَيْرٍ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ (11)
يونس	مكية	﴿قُلْ لَا أَمَلُكَ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ (49)
يونس	مكية	﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (49)
هود	مكية	﴿ثُمَّ نُؤْتُوا إِلَيْهِ يَمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (3)
هود	مكية	﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ (104)
الرعد	مدنية	﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (2)

الرعد	مدنية	﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾
إبراهيم	مكية	﴿وَيُؤَخِّرُهُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٠﴾﴾
إبراهيم	مكية	﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴿٤٤﴾﴾
الحجر	مكية	﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٥﴾﴾
النحل	مكية	﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٦١﴾﴾
النحل	مكية	﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾
الاسراء	مكية	﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ ﴿٩٩﴾﴾
طه	مكية	﴿لَكَانَ لِرَأْمَا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾
الحج	مدنية	﴿وَيُنْفِرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٥﴾﴾
الحج	مدنية	﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٣٣﴾﴾
المؤمنون	مكية	﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾
القصص	مكية	﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَتَ عَلَيَّ ﴿٢٨﴾﴾
القصص	مكية	﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ ﴿٢٩﴾﴾
العنكبوت	مكية	﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴿٥﴾﴾
العنكبوت	مكية	﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ﴿٥٣﴾﴾
الروم	مكية	﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٨﴾﴾
لقمان	مكية	﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٢٩﴾﴾
فاطر	مكية	﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٣﴾﴾
فاطر	مكية	﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١٥﴾﴾
فاطر	مكية	﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾
الزمر	مكية	﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٥﴾﴾
الزمر	مكية	﴿وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٤٢﴾﴾
غافر	مكية	﴿وَلَيَسْأَلُنَّ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّهُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾﴾
الشورى	مكية	﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴿١٤﴾﴾
الاحقاف	مكية	﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٣﴾﴾
المنافقون	مدنية	﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴿١٠﴾﴾
المنافقون	مدنية	﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴿١١﴾﴾
الطلاق	مدنية	﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَاهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴿٢﴾﴾
الطلاق	مدنية	﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴿٤﴾﴾
نوح	مكية	﴿وَيُؤَخِّرُهُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٤﴾﴾

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ (4)	مكية	نوح
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (12)	مكية	المرسلات



**An-Najah National University**  
**Faculty of Graduate Studies**

**DESTINY IN THE HOLY QURAN: AN  
OBJECTIVE STUDY**

**By**

**Basemah Basem Sha'ban**

**Supervisor**

**Dr. Hussein Al-Naqib**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of  
Master of Fundamental Religion, An-Najah National University, Nablus- Palestine.  
2023**

# **DESTINY IN THE HOLY QURAN: AN OBJECTIVE STUDY**

**By**  
**Basemah Basem Sha'ban**  
**Supervisor**  
**Dr. Hussein Al-Naqib**

## **Abstract**

This study focuses on the concept of "Al-Ajal" (time or appointed term) as presented in the Quranic verses. It sheds light on the linguistic and terminological meaning of "Al-Ajal" in the Noble Qur'an. The study explores the subject matter related to "Al-Ajal" in the Quran, the Quranic vocabularies that carry hidden meanings, the meanings attributed to appointed term, the relevant and the connotations of terms associated with it. Subsequently, the study addresses the issue of knowledge of the appointed term and discusses its extension and contraction. It categorizes the types of "Al-Ajal" into human's appointed term, the appointed term of nations, the appointed term of the universe, and the appointed term of the Hereafter. The study concludes by elucidating the Quranic directives for readiness for the appointed term and the impact of belief in "Al-Ajal" on changing the reality and behavior of Muslims.

The study adopts an inductive, analytical, and deductive methodology and is structured into an introduction, four chapters, sub-chapters, requirements, and a conclusion.

The study has clarified the accurate understanding of the concept of "Al-Ajal" in the Noble Qur'an, and it has concluded that the subject of "Al-Ajal" is a significant and worthy topic of research and study. It is a subject with diverse meanings that have been mentioned in various chapters of the Noble Qur'an.

In conclusion, the study recommends further research on the topic of "Al-Ajal," and encouraged a contemplative study of the Book of Allah and what it contains about "Al-Ajal," studying it comprehensively, and being influenced and impacting by it.

**Keywords:** DESTINY, Qur'an, hereafter, Human, Objectivity, Nations.